

صالح باشا العذل - حياته وأعماله (١٢٧٠-١٣٥٠هـ / ١٨٥٤-١٩٣١م)

خليفة بن عبدالرحمن المسعود

أستاذ التاريخ الحديث المساعد قسم العلوم الاجتماعية بكلية المعلمين في الرس

المستخلص. ولد صالح بن محسن العذل في بلدة الرس سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م حيث عاصر الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة السعودية الثانية في مراحلها الأخيرة فقدّر له أن يكون مؤهلاً للقيام بدور فاعل في العمل تحت قيادة الملك عبدالعزيز لبناء الدولة السعودية في دورها الثالث. ويركز البحث على دراسة حياة ابن عذل الأسرية حتى انضمامه للملك عبدالعزيز سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ومنذ ذلك الحين قام ابن عذل بمهام عديدة وسفارات ناجحة داخل الجزيرة العربية وخارجها عبر ربع قرن من الزمان (١٣٢٤-١٣٥٠هـ / ١٩٠٦-١٩٣١م) أصبح خلالها من أبرز الشخصيات في ديوان جلالة الملك كما تمّ منحه لقب (باشا) من قبل السلطان العثماني عبدالحميد الثاني عندما لعب دوراً مؤثراً في العلاقات السعودية العثمانية سنة ١٣٢٥هـ.

ولم يلبث ابن عذل أن عين ممثلاً للملك عبدالعزيز في الأحساء سنة ١٣٢٧هـ، كما قام بسفارات مهمة إلى جبل شمر سنة ١٣٢٨هـ والحجاز سنتي ١٣٣١هـ و١٣٣٤هـ كمبعوث من قبل الملك عبدالعزيز، بالإضافة إلى دوره المهم في ضم المدينة المنورة للحكم السعودي سنة ١٣٤٣هـ. هذا بجانب مهمته الإدارية أميراً للزكاة وغيرها من المهام العديدة، وكل تلك الأعمال والمراحل يثبتها البحث عبر الوثائق التاريخية.

مقدمة

عبر المراحل الزمنية من توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك المؤسس عبدالعزيز ابن عبد الرحمن آل سعود سجل التاريخ بصفحات بيضاء جهود رجال بذلوا ما في وسعهم لدعم جهود ملكهم المؤسس ومن هؤلاء الرجال صالح بن محسن العذل. وتبرز أهمية شخصية صالح العذل الذي عاش خلال الفترة من ١٢٧٠ حتى ١٣٥٠ هـ (١٨٥٤-١٩٣١ م) بكونه أول ممثل للدبلوماسية السعودية الحديثة برحلته الشهيرة للعاصمة العثمانية ولقائه بالسلطان عبد الحميد الثاني وما نتج عن الرحلة من نتائج انعكست إيجابياً على العلاقات السعودية العثمانية ، بالإضافة إلى نتائج انعكست على ابن عذل شخصياً بما اكتسبه من خبرة ومعرفة بالعثمانيين ساعدته على تولي مهام عديدة داخل المملكة وخارجها ليصبح ممثلاً رسمياً للملك عبد العزيز في مفاوضات مع أبرز القوى المجاورة خاصة أمير جبل شمر ابن رشيد والشريف حسين أمير الحجاز بل إن شهرة ابن عذل وصلت القمة باحتكاكه بالسلطات البريطانية حينما كان يؤدي واجبه وينفذ أوامر قائده في إمارة الزكاة الأمر الذي أدى لاعتقاله من قبل السلطات البريطانية في العراق ، لكنه ظل يقوم بمهامه ويقدم التوضيحات ، ولم يكذب يخرج من الاعتقال البريطاني إلا وأتجه لقيادة القوات محاصراً المدينة المنورة لضمها إلى البلاد الموحدة ، من هنا فإن شخصية ابن عذل بما تمثله من جوانب مضيئة في تاريخ المملكة العربية السعودية يجب إبرازها ودراستها كجزء من الحفاظ على تاريخ هذه البلاد .

ومن أبرز المصادر التي ساعدت في الكتابة عن هذه الشخصية تلك الوثائق التي قاربت خمساً وثلاثين وثيقة ما بين محلية وعثمانية وبريطانية ، وقد حاولت تصنيف المحلي منها بحسب مصدرها ؛ فالوثائق التي حصلت عليها من أسرة العذل صنفتها تحت مسمى مجموعة وثائق ابن عذل والوثائق الخاصة بالرس صنفتها تحت مسمى مجموعة وثائق الرس ، أما الوثائق البريطانية والعثمانية فحسب تصنيفها الأصلي كما هو مبين أمام كل منها. وبالإضافة للوثائق أفدت من المصادر الأخرى لاسيما المخطوطات

كتاريخ مقبل الذكير وتاريخ إبراهيم القاضي وغيرهما ، بالإضافة إلى تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني وبعض الإصدارات التي حافظت على الوثائق المحلية ومنها مطبوعات الحرس الوطني التي جمعها الدكتور عبد الرحمن السييت وآخرون ، إضافة إلى جريدة أم القرى الأسبوعية فيما رصدته من أخبار عن ابن عذل إبان حصاره للمدينة المنورة ؛ علماً بأنني أهملت بعض المراجع التي نقلت عن مصادر أخرى دون إضافة جديد واكتفيت بالمصدر .

وقد تناول البحث نشأة صالح العذل وحياته الأولى حتى التحاقه بخدمة الملك عبد العزيز تبع ذلك مهامه الإدارية والسياسية والعسكرية مع الملك عبد العزيز والتي جاءت كما يلي :

أ - رحلته الدبلوماسية إلى العاصمة العثمانية (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م)

ب - تعيينه ممثلاً للملك عبد العزيز في الأحساء (١٣٢٧هـ / ١٩٠٨-١٩٠٩م)

ج - مهمته السياسية في جبل شمر (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م)

د - مهامه الدبلوماسية والعسكرية في الحجاز وهي :

- مفاوضاته الأولى مع الشريف حسين (١٣٣٠هـ / ١٩١٢م)

- مهمته السياسية في المدينة المنورة وشمال الحجاز (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)

- مفاوضاته الثانية مع الشريف حسين (١٣٣٤هـ / ١٩١٦م)

- حصار المدينة المنورة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)

هـ - إمارة الزكاة

وبعد ذلك تناول البحث مكانة ابن عذل التي وصل إليها في عصره ، وأخيراً وفاته .

وأود الإشارة إلى أنني استخدمت مسمى ((ملك)) لشخصية عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في جميع مراحل البحث وذلك منعاً للتشابه مع بعض

الشخصيات الأخرى في البحث اذ إن استخدام لقب أمير سيؤدي للاشتباه مع معاصره الأمير عبدالعزيز بن رشيد كما أن استخدام لقب سلطان يجعل هناك تشابهاً مع السلطان العثماني، إضافة إلى أن لقب ملك هو اللقب الأهم والأبرز في حياة الملك عبدالعزيز مما جعل الباحثين يستخدمونه في الحديث عن شخصية المؤسس منذ ولادته.

وفي الختام لا يسعني إلا أن اتقدم بالشناء والدعاء لكل من ساهم بإنجاز هذا العمل وفي مقدمتهم معالي الشيخ محمد بن صالح العذل رحمه الله المستشار السابق في الديوان الملكي والذي كان له دور مهم في تزويدي بجزء كبير من الوثائق التي تتحدث عن مشوار حياة والده ورسائله المتبادلة مع الملك عبد العزيز ، كما أشكر سعادة الشيخ حسين بن عبد الرحمن العذل أمين عام الغرفة التجارية في الرياض والذي لم يتأخر في الرد على أي استفسار أو نقاش أو تزويدي بمصدر أو مرجع يتعلق بحياة جده، وكذا الشكر للمسؤولين في دارة الملك عبد العزيز على مساعدتهم بالحصول على بعض الوثائق التي خدمت البحث والله نسأل أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح .

والله من وراء القصد ،،

أولاً : ترجمة له

هو صالح بن محسن بن عدل بن جاسر (العميل) بن ناصر بن حمد بن محمد (أبا الحصين) بن علي بن راشد بن محفوظ بن حدجان بن مرزوق بن علي (عجيم) ^(١).

ولد صالح العذل في الرس سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م ^(٢)، ووالدته هي أميضي بنت درهوم الغضيان من قبيلة عنزة ^(٣) وينتمي صالح بن عدل إلى أسرة ذات عراقية ^(٤) سياسية وعسكرية إذ إن جده الثاني لأبيه من جهة الأم هو الأمير منصور بن سيف بن عساف الذي قاد الرس إلى صمود بطولي ضد حملة إبراهيم باشا التي حاصرت البلدة في النصف الثاني من سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م حيث كان للأمير منصور وقاضي البلدة الشيخ قرناس القرناس واللذين تربطهما صلة قرابة الأثر الكبير في صمودها لما يزيد عن ثلاثة أشهر أمام قوات إبراهيم باشا الضاربة ^(٥)، ولا شك أن

صلة قرابة صالح بن عدل بتلك الشخصيات العسكرية والسياسية البارزة قد جعله ملماً بمجريات الأحداث في الرس، كما أن قرابته لأمرائها قد وهبه المزيد من السمات التي مكنته من البروز والوصول إلى مكانته المهمة التي عرف بها لدى مؤسس المملكة. وقد كان مولد صالح ونشأته الأولى خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي وما شهدته نجد آنذاك من استقرار إداري وسياسي أصبحت الرس خلالها إحدى بلدان القصيم التي أبدت طاعتها وولاءها للرياض، ولا شك أن هذا قد غرس بذور الولاء في ابن عدل للإمام الحاكم وشكل مستقبل حياته.

ثانياً : حياته المبكرة حتى التحاقه بالملك عبد العزيز

نشأ صالح بن محسن بن عدل في أسرة ميسورة الحال؛ إذ كان والده يمتلك العديد من الأملاك الزراعية، كما توضح الوثائق كثرة تعاملاته التجارية من بيع وشراء وبمبالغ جيدة بمقاييس تلك الفترة ^(٦)، وقد عرف عنه توجيه وضعه الاقتصادي الجيد للجوانب الخيرية فكان يقيم إفطاراً للصائمين في منزله طوال شهر رمضان المبارك مخصصاً لذلك مقادير معينة من الطعام، بجانب تخصيصه مقادير من وزنات التمر في مبيعاته كوقف

للمسجد الجامع في الرس^(٧) مما يوحى أيضاً بمكانته الاجتماعية التي جعلته يحظى بتقدير واحترام الأعيان في البلدة^(٨).

ومن الواضح أن صالح بن عدل حين نشأ في تلك البيئة لم يخضع لبعض قيودها التقليدية فلم يتجه لطلب الحد الأدنى من العلم كشأن أبناء الطبقات المماثلة، بل عمل بعصامية ملتحقاً بإحدى قوافل العقيلات^(٩) التجارية المتجهة إلى المدينة المنورة حيث منحه مجموعة من رجال القافلة بعض البضائع ليتولى بيعها مقابل نسبة مالية محددة، وقد تمكن عبر تلك الوسيلة من الحصول على مكاسب جيدة بعد عودة القافلة إلى القصيم ونجاحه ببيع ما كان معه من بضائع في أسواقها، وكانت تلك نقطة تحول جزئية في حياة ابن عدل حيث حاز على ثقة التجار فأصبحوا يحرصون على التعامل معه مما زاده ثقة بنفسه وسعة في أحواله الاقتصادية^(١٠).

ومع مطلع القرن الرابع عشر الهجري والذي شهد بداية اضمحلال الدولة السعودية الثانية وتفككها استقلت القصيم بزعامة حسن المهنا الذي تحالف مع أمير جبل شمر محمد بن عبد الله بن رشيد ليعملا على فرض السيطرة المطلقة في المنطقة التي أصبحت تعاني من الخلافات والأوضاع الاقتصادية السيئة، وأثناء تلك الحقبة اتجه صالح العدل مع مجموعة من أهالي الرس بزعامة حسين ابن عساف^(١١) للقاء ابن مهنا لطلب بعض الهبات والأعطيات منه؛ مما يعطي انطباعاً عن تحول سيئ في الوضع المعيشي للسكان خلال تلك الحقبة من تاريخ البلاد؛ غير أن ابن مهنا اكتفى بإعطائهم تحويلات مالية على أمير الرس وهي ما تعرف باسم البروة^(١٢) دون أن يمنحهم ما كانوا يطمعون به من خزينته الخاصة، بل إنه طلب منهم مزيداً من المبالغ المالية رأى أن الرس يجب أن تدفعها له كزكاة، وقد أدى ذلك إلى غضبهم من ابن مهنا وفي طريق عودتهم من بريدة قاموا بإحراق السندات التي كتبها لأمر الرس، وحينما علم ابن مهنا بذلك أرسل في طلبهم للقبض عليهم فما كان منهم إلا الالتجاء لأمر جبل شمر محمد بن عبد الله ابن رشيد والذي سبق أن تعرف عليه صالح بن عدل في أحد مواسم الحج؛ غير أن ابن رشيد لم يرحب بقدوم هذا الوفد في بادئ الأمر خوفاً من

اضطراب علاقته بحليفه ابن مهنا؛ لكن فضاضة ابن مهنا في رسالته لابن رشيد وتهديده بالحرب إن لم يسلم هؤلاء قد أدى إلى رفضه الطلب بل أرسل أحد رجاله وهو سبهان ليلتقي بالوفد ويكرمه وينزل أعضائه في منزل فاخر، ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقة صالح العذل بمحمد بن رشيد الذي عين ابن عذل مستشاراً له وأبقاه لديه في حائل^(١٣). وقد كان لابن عذل وحسين العساف نشاط ملموس بجانب ابن رشيد حيث اشتركا معه في معركة المليداء الشهيرة والتي خاضها سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م ضد أهالي القصيم بزعامة حسن بن مهنا^(١٤)، ويشير أحد المؤرخين إلى أن ابن رشيد قد عين حسين ابن عساف أميراً للرس في ذلك العام^(١٥) ولعل ذلك جاء مكافأة له على ما أبداه من جهود خاصة في تلك المعركة، ومن الواضح أن صالح بن عذل قد بلغ مرحلة جيدة من النضج في تلك الفترة فأصبح والده يوكل إليه تدبير كثير من شؤون الأسرة، كما جعله وكيلاً على بعض أملاكه^(١٦).

وبعد وفاة محمد عبد الله بن رشيد سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م تولى عبد العزيز بن متعب الإمارة فاستمر ابن عذل في مكائته ومكانه؛ غير أن رياحاً قد هبت على منطقة القصيم مع مطلع العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري حينما بدأ الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود* تحركاته لتوحيد نجد فوصلت طلائع قواته إلى منطقة القصيم سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م لتشتبك مع قوات ابن رشيد في معارك فاصلة كان أبرزها معركة البكيرية في ربيع الثاني من تلك السنة، ثم اقتربت القوات من الرس وتمكنت من إتمام السيطرة عليها بعد معركة الشنانة في ١٨ رجب من السنة نفسها، ورغم أن ابن عذل كان إبان تلك المعركة الفاصلة في صف ابن رشيد^(١٧) إلا أن الأحداث التالية للمعركة ستغير مسار حياته جذرياً.

* سوف نطلق لقب (ملك) على عبد العزيز آل سعود خلال مراحل البحث وذلك منعاً للتشابه مع بعض الشخصيات الأخرى في البحث إذ إن استخدام لقب أمير سيؤدي للاشتباه مع معاصره الأمير عبد العزيز بن رشيد كما أن استخدام لقب سلطان يجعل هناك تشابهاً مع السلطان العثماني، إضافة إلى أن لقب ملك هو اللقب الأهم والأبرز في حياة الملك عبد العزيز مما جعل الباحثين يستخدمونه في الحديث عن شخصية المؤسس منذ ولادته حتى وفاته.

إن مما اتصف به صالح العذل ذلك الوفاء الشديد لقائده مما دفع به بعد معركة الشنانة وخسارة ابن رشيد فيها إلى محاولة جمع بعض المبالغ المالية له أملاً في تحسين وضعه العسكري والسياسي المتردي، وحين عمل ذلك إنما كان ينطلق من مبدأ الإخلاص والوفاء وصدق العمل؛ خاصة أن ابن عذل لم يكن حينذاك يعلم زعيماً غير ابن رشيد؛ ولا شك أن هذا الموقف قد جعله محل تقدير الملك عبد العزيز الذي أعجب بهذا السلوك من قبل ابن عذل ليجعله أحد أبرز رجاله مستقبلاً مؤكداً أن «من يوفي مع معزبه سوف يوفي معه»^(١٨).

شغل الملك عبد العزيز بعد معركة الشنانة بمساندة أمير قطر قاسم آل ثاني في تثبيت الأوضاع في بلاده فحاول ابن رشيد استغلال ذلك حيث أرسل صالح العذل وحسين بن عساف على رأس سرية قوامها مائة فارس من بينهم علي بن سدحان الرويس ومحمد الحمالي^(١٩) للسيطرة على الرس من جديد، ومن المرجح أن اختيار ابن عذل للقيادة يعود إلى ما يملكه من دبلوماسية وحكمة تمكنه من احتواء ردة فعل أهالي الرس؛ أما حسين بن عساف فاختير لأنه أمير البلدة السابق مما يضمن استقرارها الإداري بمجرد الاستيلاء عليها، وقد نجحت السرية بدخول الرس والسيطرة عليها في منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م بعد هرب أميرها صالح بن عبد العزيز الرشيد^(٢٠)؛ غير أن الملك عبد العزيز سرعان ما عاد مجدداً لتأكيد سيطرته على المنطقة بعد نجاحه بالتخلص من خصمه عبد العزيز بن رشيد وقتله في روضة مهنا في صفر عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م وفي الشهر التالي للمعركة اتجه إلى قصر ابن عقيل واستقر هناك ثم أرسل محمد ابن عبد المحسن السديري إلى الرس للتفاوض مع أميرها حسين بن عساف على التسليم بعد أن عزم الملك عبد العزيز على إبعاده عن الإمارة وإعادة صالح الرشيد، كما طلب من أهالي الرس إرسال ممثل عنهم للتفاوض حول مستقبل البلدة؛ فوقع اختيارهم على صالح بن عذل لهذه المهمة^(٢١)؛ وفي ذات الوقت أمر السديري بالبقاء في الرس لحين انتهاء المفاوضات رغبة في طمأنة الأهالي وإبداء لحسن النية، وعلى الرغم من مساندة صالح بن عذل السابقة لابن رشيد إلا أنه نال إعجاب الملك عبد العزيز لما تميز به

من إخلاص^(٢٢)، كما كان للأمير عبد الله بن جلوي دورٌ في إقناع الملك باتخاذ هذا الموقف حينما أبدى إعجابه بشخص ابن عذل وسلوكياته فكان طريقه إلى قلبه^(٢٣) خاصة مع ما أبداه من صدق ووضوح في مفاوضاته معه حول مصير الرس حيث تم الاتفاق على تأمين السرية العسكرية التي كان ابن رشيد قد أرسلها للرس لحين خروجها من البلدة؛ وأن يبايع أهلها للقائد الجديد ليكونوا من رعيته ويبدأ الطرفان صفحة جديدة من العلاقات، وقد وافق الملك على ذلك وبسط يده لابن عذل الذي قدم له البيعة^(٢٤) فأصبحت الرس جزءاً مما توحد من نجد، ولم يلبث الملك المؤسس أن قرر إعادة حسين بن عساف لإمارة الرس في السنة نفسها^(٢٥)، وبعد ذلك اصطحب معه صالح العذل للرياض وأبقاه هناك أربعة أشهر حتى يتأكد من ثباته؛ ولم يلبث أن أصدر قراراً بتعيينه مستشاراً له^(٢٦) وبدأ يعده لمهام جديدة.

وعلى الرغم من انتقال صالح بن عذل واستقراره في الرياض وبداية توليه مهام مختلفة إلا أن صلاته لم تنقطع ببلدته الأولى الرس حيث كان يقيم شهراً بها كل سنة^(٢٧) حيث أبقى له مسكناً فيها^(٢٨) مما يدل على صدق الولاء والانتماء الذي تتمتع به تلك الشخصية.

ثالثاً : مهامه السياسية والإدارية والعسكرية مع الملك عبد العزيز

أ - مهمته الدبلوماسية في العاصمة العثمانية (١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م)

إن من أبرز الأعمال والمهام التي اشتهر بها ابن عذل واكتسب من خلالها لقب الباشوية هي تلك الرحلة التاريخية للعاصمة العثمانية الآستانة "إسطنبول" حيث كلفه الملك عبد العزيز بحمل رسالة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني^(٢٩) تحوي معاني التفاهم حول جلاء القوات العثمانية من القصيم على إثر انتصارات الملك عبد العزيز على خصمه حليف العثمانيين عبد العزيز بن رشيد ومقتله في روضة مهنا عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م.

عاد الملك عبد العزيز إلى الرياض في أعقاب ترتيب أوضاع القصيم في تلك الفترة

وحينذاك وصلت الأنباء عن تحركات عثمانية في أطراف المنطقة لاستماله بعض القبائل ، وأن أمير جبل شمر الحديد متعب بن عبد العزيز يفاوض الجنود العثمانيين هناك ليتجهوا إليه في الجبل للاستفادة مما معهم من سلاح وعتاد ، وفي الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية غير راضية عما آل إليه حال قواتها في القصيم في ظل سياسة القائد صدقي باشا التي أبقت الوضع مضطرباً ومعلقاً بينه وبين الجانب السعودي ؛ مما حدا بها لإرسال قائد جديد هو سامي باشا الفاروقي من المدينة المنورة لدعم ابن رشيد وإيجاد حل لمشكلة هؤلاء الجنود ؛ فنتج عن ذلك مفاوضات عقدت في الأشهر التالية لروضة مهنا بين سامي باشا وابن رشيد في بلدة سَمِيرًا* خَطَّطاً من خلالها لإخضاع منطقة القصيم لابن رشيد وهذا ما أثار غضب الملك عبدالعزيز أثناء لقائه بالفاروقي في البكيرية للتفاوض معه حول وضع القوات العثمانية في القصيم مما حدا به بعد عودته من المفاوضات إلى إرسال وفد يمثله ثلاثة من رجاله برئاسة صالح بن عدل يحمل إنذاراً للفاروقي بأن عليه مغادرة المنطقة بجنوده وإلا فإنه سيتعرض للهجوم في اليوم التالي، وكان الهدف من ذلك الإجراء بث الذعر في نفوس العثمانيين وقائدهم ، وقد نتج عن ذلك فزع الفاروقي ومبادرته بإرسال وفد بصحبة ابن عدل لاسترضاء الملك عبد العزيز (٣٠) .

إذاً ؛ فقد حققت أولى مهمات صالح بن عدل الداخلية النجاح والهدف المؤمل منها حيث سارع الفاروقي محاولاً حل الخلافات بشكل ودي وبأسرع وقت ، كما أن الفاروقي لم يجرؤ على أي عمل مناوئ للجانب السعودي منذ تلك الحادثة ؛ بل إنه اقتنع بفكرة الرحيل بالقوات العثمانية نهائياً من القصيم ، وسرعان ما أتبع الملك عبد العزيز ذلك بخطوة أخرى في شوال ١٣٢٤هـ / نوفمبر ١٩٠٦م حين واصل الضغوط على الفاروقي لإرغامه على الرحيل خوفاً من انضمام قواته إلى ابن رشيد فأرسل له يخيره بين أمرين إما الرحيل إلى جنوب غربي القصيم والابتعاد عن ابن رشيد أو أن يترك له مهمة ترحيل الجنود العثمانيين إلى العراق أو الشام وهدده في حال عدم

* سميراء قرية من قرى منطقة حائل إلى الغرب من القصيم وأكثرية سكانها من تميم ، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقدمة) ج ١٠ ط ١ . الرياض ، دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٥٩٨ .

الاستجابة إلى أنه سيهاجمه ويقضي على قواته، ولم يكن الفاروقي بحاجة لأكثر من ذلك؛ إذ لم يلبث أن قرر الموافقة على ترحيل الجنود فرحل هو بقسم منهم إلى المدينة المنورة فيما رحل القسم الآخر إلى بريدة استعداداً للرحيل إلى العراق، وحين وصل الفاروقي بمن معه إلى المدينة المنورة تحرك من كان في بريدة إلى العراق^(٣١)، وقد عمد الملك عبدالعزيز لإرسال بعض رجاله بصحبته^(٣٢) خوفاً من التفافهم وعودتهم من جديد للانضمام إلى أمير جبل شمر متعب بن رشيد، وكان رحيل آخر الجنود العثمانيين قرابة منتصف شوال من ذلك العام^(٣٣)، ولقد صاحب ترحيل الجنود العثمانيين إلى المدينة المنورة والعراق معاملة حسنة من قبل الملك عبد العزيز رغم ما أبداه أولئك الجنود من العداء ضده؛ ولم يكن العثمانيون يتوقعون تلك المعاملة الحسنة الأمر الذي جعل السلطان عبد الحميد الثاني يبادر في أواخر عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م بعد قرابة شهرين من ترحيلهم لإرسال وفد إلى الرياض يحمل الشكر للملك عبدالعزيز على تلك المعاملة ويطلب منه إرسال ممثل إلى الآستانة على رأس وفد لإبراز مظاهر التكريم له والتفاوض معه لتحسين العلاقات بين الجانبين^(٣٤).

وقع اختيار الملك عبد العزيز على صالح بن عذل لرئاسة الوفد الذي تقرر إرساله إلى العاصمة العثمانية ولاشك أن اختياره لهذه المهمة الكبيرة المتمثلة بقاء أكبر الشخصيات الإسلامية الحاكمة آنذاك وهو السلطان العثماني بما كان يمثل من أهمية لدى المسلمين قاطبة يعود إلى ثقة الملك الكبيرة بشخص ابن عذل^(٣٥) وقدراته التي أبداهها في مفاوضاته السابقة مع القائد العثماني سامي باشا الفاروقي خاصة أن تلك المفاوضات قد منحت ابن عذل ثقة في النفس وقدرة على الدفاع الدبلوماسي عن مصالح بلاده، وفي الوقت نفسه فإن علاقة ابن عذل السابقة بابن رشيد الحليف التقليدي للعثمانيين جعلته مرشحاً لرئاسة الوفد لأنه سيكون أكثر فهماً للنوايا والمخططات العثمانية في الجزيرة العربية وبالتالي سيتمسك بحقوق بلاده ويصارع مفاوضيه في الاستانة بهذا الشأن، ونظراً لأن هذه المهمة المنتظرة كانت هي الأهم في تاريخ الدبلوماسية السعودية منذ استعادة الرياض فقد حرص الملك المؤسس على اختيار أفضل

من يقوم بهذه المهمة فوق اختياره على ابن عدل .

انضم إلى ابن عدل في مهمته تلك وفد تكون من عبد الله أبو عبيد ومبارك بن مبيريك^(٣٥) وانطلق الوفد من الرياض في ذي الحجة من عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٧م^(٣٦) متجهاً إلى الكويت فالبصرة ثم بغداد؛ حيث استقل القطار إلى العاصمة العثمانية^(٣٧) بعد التنسيق مع قائد البصرة العثماني عزت باشا الذي كان الوسيط في تسهيل مهمة الوفد وتنقلاته^(٣٨)، وقد حمل ابن عدل رسالة خطية من الملك عبدالعزيز إلى السلطان عبد الحميد الثاني تضمنت تأييده للدولة العثمانية وإبداء الصداقة معها^(٣٩)، كما تضمنت طلباً بالاهتمام بأعضاء الوفد المرسل وتكريمهم مع تكريم بعض المسؤولين والقادة العثمانيين الذين أبدوا تعاوناً وحسن تصرف خلال بقائهم في نجد، بالإضافة إلى بعض المطالب الأخرى^(٤٠) والتي يرجح أنها تتعلق بتقوية العلاقات بين الجانبين بما يحفظ حقوق الجميع، ونصائح صادقة حول الأسلوب الأمثل الذي ينبغي أن تسلكه الدولة العثمانية في سياستها إزاء العالم العربي وهو ما يؤكده الملك عبد العزيز في اتصالاته المختلفة مع العثمانيين^(٤١).

وصل ابن عدل إلى العاصمة العثمانية على الأرجح في مطلع عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م كما يدل تاريخ الوثائق والمراسلات العثمانية المتعلقة بهذا الشأن حيث نزل ضيفاً على السلطان العثماني، وطلب منه موظفو الديوان السلطاني تسليمهم الرسالة التي كان يحملها غير أنه رفض ذلك مصرّاً على أن لا يسلمها إلا للسلطان شخصياً؛ معللاً ذلك بأن مجيئه لم يكن بغرض حمل الرسالة فحسب، فهذه مهمة توكل لأي نجاب بل إن الهدف الأهم لمجيئه هو نقل وجهات نظر الملك عبد العزيز شخصياً إلى السلطان^(٤٢) ولا شك أن هذه الجراء في الطرح من قبل ابن عدل تدل على ما كان يمتلكه من مقومات المبعوث الدبلوماسي الذي يعرف ماذا يريد دون الانصياع إلى ما يملأ عليه من تعليمات بعض الموظفين .

استقبل السلطان عبد الحميد ابن عدل ونزل من كرسيه وتقدم لمصافحته ومرافقيه

وتسلّم منه الرسالة ثم أخذ يتحدث معه وينصت لما يقوله المترجم، وبعد نهاية الحديث أذن لصالح ومن معه بالانصراف من المجلس^(٤٣)، ويشير الريحاني إلى أن ابن عدل قد تجاهل محادثات بعض الوزراء العثمانيين معه في بعض الموضوعات السياسية فلم تثمر تلك المحادثات عن شيء يذكر^(٤٤)؛ ولعل محاور تلك المحادثات تركّز حول السياسة العثمانية في القصيم ورغبة العثمانيين بعقد اتفاقات ثنائية تتيح لهم البقاء بشكل أو بآخر في بعض مناطق نجد؛ ومن المرجح أن إدراك ابن عدل تعارض هذا الأمر مع سياسة الملك عبد العزيز قد جعله يرفض الخوض فيه.

وفي أواخر جمادى الأولى ١٣٢٥ هـ يوليو ١٩٠٧ م بعث الملك عبد العزيز إلى صالح العذل الموجود في الأستانة الرسالة التالية:^(٤٥) «سعادة معتمدنا المكرم الشيخ صالح العذل حالا وصلت إلينا أخباركم، عيّنّا التوجيهي للبصرة منتظرين إفادتكم معه الله يسمعنا عنكم ومنكم كل خير، كافة أهل نجد والعشاير جميعها آمنة مستريحة بأنفاس مولانا أمير المؤمنين أعزه الله، نحن حالا بالرياض والوالد بخير لا تقطعون عنا أخباركم... والسلام».

ويتبيّن من خلال الرسالة السالفة مدى اهتمام الملك عبد العزيز بصالح العذل ومهمته في العاصمة العثمانية، فهو يصفه بـ "معتمدنا" أي بمثابة السفير المفوض الأمر الذي يبيّن مامنه له من صلاحيات للتفاوض مع المسؤولين العثمانيين، ويلاحظ أيضاً مدى تشوق الملك عبد العزيز واستبطائه لأخبار ابن عدل مما يدل على أن ابن عدل لم يرسل إلى الرياض أي شيء طيلة خمسة أشهر مضت مما بعث القلق لدى الملك عبد العزيز على مصير صالح وعلى نجاح مهمته.

كما حاول الملك عبد العزيز أيضاً من خلال رسالته تلك استخدام أسلوب يناسب المسؤولين في الأستانة من حيث إظهار الدعاء والصداقة للسلطان رغبة منه بدعم مهمة ابن عدل في تقريب وجهات النظر بين الطرفين وتوطيد عرى الصداقة بينهما.

وبالفعل فقد حظيت تلك الرسالة ومانقله ابن عدل قبلها بإعجاب السلطان

العثماني؛ الأمر الذي دفعه لإصدار قراره بمنح الملك عبد العزيز وسام الدولة العثمانية من الدرجة الأولى : (روم ايلي بكلربكي) بالإضافة إلى أوسمة مناسبة مع إجابة طلبه بتكريم رئيس الوفد ابن عدل ومرافقيه عبد الله أبو عبيد ومبارك بن مبيريك ، وقد جاء في القرار الصادر بهذا الخصوص في ١٧ رجب ١٣٢٥ هـ، ٢٦ أغسطس ١٩٠٧ م^(٤٦) : «بناء على المعروض الذي قدمه عبد العزيز السعود إلى مقام حضرة الخليفة والذي يحوي تأييده للصدّاقة في المعروض الذي أرسله مع الشيخ صالح أفندي إلى اسطنبول والذي يحوي بعض الطلبات والخطاب المقدم من قبل عزت باشا قائد البصرة ، وبعد اطلاع المقام العالي على ذلك تم إرسالها للصدارة العظمى وقد تقرر فيها منح عبد العزيز السعود مؤقّتا ، «سام الدولة العثمانية من الدرجة الأولى وشارات مناسبة وذلك بناء على ظهور الآثار الباهرة من تقديم صداقته وخضوعه للدولة ثم سيتم تلطيفه بتلطيفات أخرى. وقد تمت الموافقة على طلبه بتلطيف بعض الأشخاص منهم الشيخ صالح أفندي المذكور وحاجي إبراهيم أفندي من أهالي نجد وأحمد شهاب الدين أفندي إمام الكتبية الثانية للفرج الأربعين ومحمد جمال الدين أفندي مدير أعمال قائم مقام نجد. ومن أهالي الرياض والقصيم عبد الله أبو عبيد ومبارك أفندي والشيخ صالح والشيخ عبد الله . وقد عرض الأمر على مجلس الوزراء للمذاكرة في باقي التلطيفات هل تكفي أم لا؟ وبعد رفع الأمر إلى المقام العالي فقد صدرت الإرادة السنية بذلك» .

إن أبرز ما تضمنه هذا القرار منح الملك عبد العزيز وسام الدولة العثمانية من الدرجة الأولى مما يدل على توطيد مكانته لدى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وتدل كلمة (مؤقّتا) إلى أن هناك أشياء أخرى ستمنح له وهو ما يفهم من عبارة (ثم سيتم تلطيفه بتلطيفات أخرى) .

أما ما بينه القرار من توصية الملك عبد العزيز للسلطان العثماني بتكريم أعضاء الوفد وبعض القادة والموظفين من عثمانيين وغيرهم ممن تعامل معهم فلمس فيهم صدق النوايا فإنما يدل على سياسة الملك عبد العزيز بتكريم المستحقين ومكافأتهم بما هم أهل له ، ولم يحدد القرار ما هي التلطيفات التي منحت لصالح العذل ومن معه ولعلها كانت

أشياء مادية ومبالغ مالية ؛ وهذا ما يؤكد قرار سلطاني آخر صدر بعد ما يقارب الشهر من القرار السابق ، فقد نص القرار الجديد الذي صدر في ١٥ شعبان ١٣٢٥ هـ على منح ابن عذل مائة وخمسين ليرة مكافأة له على حسن جهوده ودوره في تقريب وجهات النظر بين الجانبين ؛ وجاء في ذلك القرار^(٤٧) : « بناء على المعروض الذي قدمه حضرة عبد العزيز بن سعود باشا^(٤٨) إلى مقام حضرة الخليفة والذي يحوي تأييده للدولة العلية العثمانية وصداقته معها وذلك عن طريق الشيخ صالح الذي قدم إلى إسطنبول فقد صدرت موافقة جناب الخليفة السنية بمنح الشيخ المذكور منحة سلطانية بمبلغ مائة وخمسين ليرة ، والأمر والفرمان لمن له اللطف والإحسان » .

غير أن الأهم من ذلك المبلغ هو قرار السلطان العثماني بمنح صالح العذل لقب باشا^(٤٩) الذي يعتبر أعلى الألقاب الرسمية العثمانية ليصبح من أوائل الحائزين على هذا اللقب من أهل نجد^(٥٠) ، ويذكر مبارك بن مبيريك أحد أفراد الوفد أن رشيد بن ليلي وكيل ابن رشيد لدى السلطان العثماني أصابته الغيرة والحسد حين علم بما حدث من إعجاب السلطان بابن عذل ومنحه لقب الباشوية فحاول جاهداً الوشاية به وإيهام السلطات العثمانية بأنه شخص متقلب الميول تارة مع هذا وأخرى مع ذاك وأنه لا يمكن الركون إليه ، فما كان من السلطان إلا أن حاول التحقق من الأمر فأرسل إلى كل من والي بغداد والي المدينة المنورة طالباً منهما التحري عن سلوك ونهج ابن عذل فاقترح والي المدينة استدعاء محمد بن يحيى بن سليم من أمراء عنيزة إلى العاصمة العثمانية باعتباره رجلاً ذا دراية ومعرفة بابن عذل لأخذ رأيه ، وحين مثل ابن سليم أمام السلطان العثماني أكد أن ابن عذل رجل موثوق الجانب وأنه يستحق اللقب الذي منح إياه ، وهذا ما أيده السلطان ففشلت بالتالي محاولات ممثل ابن رشيد في التقليل من مكانة ابن عذل لدى السلطات العثمانية^(٥١) مما أثر سلباً على مكانة ابن رشيد لدى العثمانيين في ظل سعيه لإيجاد فجوة في علاقتهم مع الجانب السعودي .

لا تحدد الوثائق التاريخية المتاحة المدة التي لبثها ابن عذل في العاصمة العثمانية غير أنها تؤكد بقاءه هناك ما يزيد عن تسعة أشهر^(٥٢) ويستنتج من متابعة المصادر والوثائق

عدم وجود أي نشاط لابن عدل بجانب الملك عبد العزيز حتى مطلع سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م حينما كلف بمهمته الثانية كمندوب رسمي لدى السلطات العثمانية في الأحساء^(٥٣) مما يرجح أنه بقي في العاصمة العثمانية مدة قاربت السنتين تمثلتا بعامي ١٣٢٥ - ١٣٢٦هـ^(٥٤)؛ ومما يزيد من هذا الاحتمال أن الملك عبد العزيز كان يعتبره سفيراً لدى السلطان العثماني ويطلق عليه لقب " معتمدنا " كما تشير الوثائق^(٥٥) والسفير أو المعتمد لا يمكن أن تكون مهمته من النوع قصير الأجل .

وعلى أية حال فقد نتج عن مهمة صالح بن عدل تلك تقرب كثير من وجهات النظر العثمانية السعودية حسبما تدل الوثائق المتضمنة منح الألقاب والأعطيات لرجال الدولة السعودية وعلى رأسهم الملك عبد العزيز ، إضافة إلى إجراء المزيد من الجولات التفاوضية بين الجانبين في المراحل الزمنية التالية^(٥٦) كما أن العثمانيين أدركوا ما يتمتع به ابن عدل من دبلوماسية ومكانة سياسية جعلتهم يشنون عليه في خطاباتهم للملك عبد العزيز ويشيدون بما قدمه من جهود وفي الوقت نفسه فإن الملك عبد العزيز اكتشف عبر هذه المهمة لابن عدل مدى ما يمتلكه الرجل من مواهب دبلوماسية ودقة تعامل مع العثمانيين الأمر الذي جعله يرشحه ممثلاً له لدى السلطات العثمانية في الأحساء فور عودته من العاصمة العثمانية^(٥٧) ، كما أن الملك عبد العزيز أصبح يفاخر أمام ضيوفه بتلك المهمة الناجحة لصالح بن عدل ؛ حيث أخبر المؤرخ أمين الريحاني بما قام به ابن عدل من جهود خلال تلك المهمة ، بل أن لقب (الباشا) الذي منح لابن عدل ظل محل استحسان الملك عبد العزيز حيث يناديه به أمام الضيوف ، ويسعى لتعريفهم على شخص ابن عدل؛ فقد حدث أن كان الملك في نزهة في جبل أبو مخروق في الرياض ومعه الريحاني فأخذ ينادي ابن عدل قائلاً " يا باشا ، يا باشا تعال تعرف على الأستاذ " ^(٥٨) ومن الواضح أن ابن عدل رغم نجاحه الكبير في مهمته السياسية تلك إلا أنه لم يكن يؤثر الحديث عنها لغير الحاجة ؛ بل إنه لا يكاد يذكرها إلا نزرأ حين يُلح عليه بذلك لأنه يرى أن تلك المهمة جزء من أسرار الدولة السياسية التي هو مؤتمن عليها ولا يجب يبوح بها عند غير أهل الاختصاص ؛ ولعل هذا يفسر رده المقتضب

على المؤرخ أمين الريحاني حين سألته عن مشاعره خلال إقامته في الأستانة حيث أجاب بإيجاز: " ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلونا منها " (٥٩).

(ب): تعينه ممثلاً في الأحساء (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨-١٩٠٩م)

أتم عبد العزيز آل سعود سيطرته على معظم وسط وجنوب نجد وكان هدفه المستقبلي إتمام السيطرة عليها لا سيما جبل شمر ذلك الجزء الذي تنبعث منه المقاومة بقيادة آل رشيد والذين يستمدون قوتهم من الدعم العثماني ومن وجود بعض الفئات المعارضة والتي كانت تجد الملجأ والمساندة أيضاً من السلطات العثمانية في الأحساء .

ولقد أدرك الملك عبد العزيز أن آل رشيد يمسون بقوة بزمام الأمور في جبل شمر ، كما أدرك الخطر الذي تشكله سياسة العثمانيين في الأحساء بإيواء الفارين المتمردين رغم حالة الاضطراب الإداري السياسي الذي كانت تعانيه المنطقة تحت الحكم العثماني المضطرب؛ إضافة إلى ما كانت تشكله الأحساء من أهمية اقتصادية سياسية وعسكرية في موقعها على ساحل الخليج العربي تلك الأهمية التي كانت وسيلة إغراء تجعل التنافس على حكم المنطقة نهجاً لكل قوة متاخمة لها .

كل هذه العوامل وغيرها كانت دافعاً للملك عبد العزيز للتخطيط المبكر للسيطرة على الأحساء خاصة بعد فرض السيطرة على القصيم وحصر آل رشيد في جبل شمر ؛ فأراد التخلص من الوجود العثماني في الأحساء والاستفادة من إمكانياتها الاقتصادية والاستراتيجية وإتمام السيطرة على جزء مهم من دولة آبائه وأجداده ، لكنه أدرك أن الإقدام على هذا الأمر يجب أن يمهّد له بالعمل على تهدئة الوضع مع العثمانيين وتحسين العلاقة معهم ، ورغم أن شيئاً من هذا قد تم له خلال مهمة ابن عذل السابقة في العاصمة العثمانية إلا أن تزايد وضع الأحساء المزعج تحت الحكم العثماني قد جعل الملك عبدالعزيز يعمل مجدداً لإقناع العثمانيين بضرورة وقف نشاطهم المناوئ له والقادم من هناك، وفي ذات الوقت رأى أن يمهّد لتحقيق الحل البديل بضم المنطقة إليه فسعى للتقرب إلى قبائلها ومعرفة موقفها ومدى استعدادها للتعاون معه في مهمته المرتقبة مع الحرص

الشديد على معرفة حقيقة أوضاع الأحساء الإدارية والسياسية والعسكرية تحت الحكم العثماني^(٦٠) ولتحقيق تلك الخطوات رأى الملك عبد العزيز أن يرسل أحد رجاله لهذه المهمة ، فوق اختياره على صالح العذل ليكون ممثلاً له في الأحساء لدى السلطات العثمانية بعد أخذ موافقة السلطان العثماني على هذا الأمر .

ويعود اختيار ابن عذل لهذه المهمة لعلاقته الجيدة مع السلطات العثمانية منذ لقائه السابق بالسلطان العثماني الأمر الذي جعله محل ثقة العثمانيين كما تؤكد الخطابات والرسائل العثمانية^(٦١) ؛ إضافة إلى أن تلك الحقبة قد أكسبته قدرة أكبر على معرفة أفضل الطرق للتعامل مع العثمانيين مما سيجعله بعيداً عن شكوكهم فيتسنى له أداء مهمته على الوجه الأكمل ، أضف إلى ذلك صلة قرابته بالقبائل هناك لا سيما قبيلة العجمان ذات النفوذ المهم والتي ينتمي إليها ابن عذل نفسه مما يجعلها أكثر تقارباً وتعاوناً معه ضد السلطات العثمانية .

وقد كُلف ابن عذل لدى مغادرته الرياض متجهاً إلى الأحساء بإبراز الاحترام للدولة العثمانية وخدمتها ، كما أبلغ السلطان العثماني بأن السبب في تعيين ابن عذل معتمداً في الأحساء يعود للرغبة في توطيد الصلات مع العثمانيين والعمل على خدمة أهل نجد المقيمين في تلك الجهات ليكون بمثابة المعرف لهم والمسؤول عن تصرفاتهم وذلك مساعدة منه للعثمانيين في محاولاتهم النهوض بأوضاع الأحساء المتردية^(٦٢) .

ومن خلال استقراء الوثائق يتضح أن إرسال ابن عذل إلى الأحساء في مهمته تلك كان في سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م حيث ورد في رسالة متصرف الأحساء عارف باشا إلى والي البصرة بتاريخ ٢٥ شعبان ١٣٢٧هـ (٢٦ اغسطس ١٣٢٥هـ رومي) أن ابن معشوق " ... بعثه ابن سعود إلى هنا قبل سنة .. " ^(٦٣) وهذا يعني أن ابن معشوق الذي سبق ابن عذل في تلك المهمة كان في الأحساء منذ النصف الثاني من سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م فيكون مجيء ابن عذل إلى الأحساء بعد ذلك التاريخ .

بمجرد أن استقر ابن عذل في الأحساء بدأ العمل على تنفيذ الأهداف التي أرسل

إليها وبدأ محاولات لجس نبض العثمانيين ومعرفة مدى إحكام سيطرتهم على أوضاع الأحساء، ولم يكن في مهمته سهل الجانب كما ظنه العثمانيون؛ فقد قام بالقبض على بعض الأشخاص لاعتدائهم على حقوق بعض التجديدين المقيمين في الأحساء؛ غير أن السلطات العثمانية حذرت من مثل هذا العمل الذي اعتبرته تدخلاً في شئونها وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين؛ لذلك فإن متصرف الأحساء الجديد عارف باشا قام فور مباشرته مهام عمله بمقابلة ابن عدل ونصحه بأن مثل تلك الأعمال ستؤدي إلى توتر العلاقات بين الجانبين وأن عليه عدم التدخل في مهام السلطات العثمانية التي يناط بها تأديب المعتدين ورد الحقوق لأصحابها؛ مبلغاً إياه بأن تلك السلطات ستتكفل بتلك الإجراءات وستؤدب الفارين والمطلوبين من قبل الملك عبد العزيز، وليبرهن متصرف الأحساء على جديته فيما يقول قام بالقبض على شخصين كان ابن عدل يطلبهما للعدالة وتم إيداعهما السجن^(٦٤) مما يدل على مدى اهتمام السلطات العثمانية باسترضاء الملك عبد العزيز ومعتمده في الأحساء.

لم تحدد المصادر المدة التي مكثها ابن عدل في الأحساء، وحيث أشارت الوثائق إلى أن ابن معشوق كان هناك منذ حوالي شعبان ١٣٢٦ هـ سبتمبر ١٩٠٨ م حتى تم استبداله؛ دون أن تحدد تلك الوثائق تاريخ استبداله^(٦٥)؛ فإن بقاء ابن عدل هناك يظل قائماً خلال المدة من شعبان ١٣٢٦ هـ وحتى مغادرته الفعلية في ذي القعدة سنة ١٣٢٧ هـ^(٦٦) نوفمبر ١٩٠٩ م أي ما يزيد عن العام.

ومن الواضح أن تلك المدة قد أتاحت له معرفة حقيقة الوضع في الأحساء وتم له التواصل مع القبائل والمقيمين من أهل نجد هناك وكثير من الناقمين على الحكم العثماني؛ وتزايد نشاطه السياسي مما جعله يتعرض للمضايقات من قبل السلطات العثمانية التي استشعرت خطورته، لكنه استغل تلك المضايقات كي يجد المبرر أمام العثمانيين للمغادرة والعودة إلى الرياض بعد أن حقق ما كان يهدف له؛ فأرسل رسالة إلى الملك عبد العزيز يبلغه فيها بأوضاع الأحساء ويشكو ما تعرض له من مضايقات ويطلب سحبه من المنطقة، فما كان من الملك عبد العزيز الذي فهم ما يرمي إليه ابن عدل إلا أن كتب

لمتصرف الأحساء عارف باشا رسالة في العاشر من شعبان ١٣٢٧ هـ ٢٨ أغسطس ١٩٠٩ م هنأه فيها بتعيينه في منصبه متمنياً له التوفيق في مهامه مشيداً في الوقت نفسه بالدولة العثمانية وجهودها، كما أبلغه أيضاً أنه نظراً لتقلص أعداد النجديين المقيمين في الأحساء ولعدالة السلطات العثمانية بين الأهالي فإنه لم تعد هناك حاجة لبقاء ابن عدل هناك، وطلب منه رفع الأمر إلى العاصمة العثمانية لأخذ الموافقة على ذلك (٦٧).

لقد أثار هذا الطلب غضب متصرف الأحساء الذي كتب إلى والي البصرة في نهاية شهر شعبان ١٣٢٧ هـ مبلغاً إياه بالأمر مبدئياً استغرابه من قرار الملك عبد العزيز بسحب ممثله ابن عدل من الأحساء بعد أن كان يلح وبقوة على تعيينه من قبل ؛ وفي الوقت ذاته بين المتصرف رأيه في هذا الأمر شارحاً للوالي المذكور ملابسات الموضوع وموضحاً استنتاجاته التي تبينت له من خلال مهمة ابن عدل في الأحساء حيث حاول في البداية تهميش الدور الذي كان يقوم به موضحاً أن ابن عدل نفسه كان السبب في هذا الإجراء حينما شكى للرياض ما تعرض له من مضايقات، وبين المتصرف أن قسماً من سكان الأحساء هم من أصول نجدية وأنهم يظهرون الميل لابن سعود كلما سنحت لهم الفرصة . غير أن أهم ماورد في رسالة المتصرف إعلانه المفاجيء بأن «أقصى مايتمناه ابن سعود هو أن يأتي إلى هذا المكان (الأحساء) فيستولي عليه بالاستفادة من ضعف الحكومة ... ولذلك فإنه يريد سحب الرجل من هذا المكان حتى لا تربطه بهذا المكان أية رابطة ، أو بعبارة أخرى فإن سحبه للرجل من هذا المكان المليء بالوخامة المضطرب الأوضاع اكان قراراً حاسماً غير أنه نظراً لنفوذ ابن سعود في الوقت الراهن فإنه إن كان يريد سحب الرجل فإن ذلك لإشغال الحكومة وبلبله الرأي العام وإلقاء الفتنة بين العشائر للإخلال بالأمن العام ...» فالمتصرف إذاً يتحدث بوضوح عن تخوفه من إقدام الملك عبدالعزيز على ضم الأحساء وأن إرسال ابن عدل ثم سحبه كان تمهيداً لهذا الأمر، وعلى الرغم من محاولة المتصرف تهميش دور ابن عدل في البداية ألا أنه سرعان ما عاد ليؤكد أن بقاء ابن عدل في الأحساء وعدم سحبه «دليل صريح على صداقة ابن سعود وصدقه المسلم بهما للدولة العلية ..» واقترح أن يكتب له رداً يتضمن هذا الأمر «وأن تركه أو سحبه

على أية حال أمر متروك له ..» مما يدل بالفعل على أن سحب ابن عذل يعني نقطة انطلاقاً لضم الأحساء ، وأخيراً أبلغ عارف باشا والي البصرة أنه لا يزال منتظراً رأيه للرد على الطلب السعودي بسحب ابن عذل^(٦٨) .

وبمجرد أن تلقى والي البصرة الرسالة السابقة سارع يوم ١٥ شوال ١٣٢٧ هـ / ٣٠ أكتوبر ١٩٠٩ م بالكتابة إلى نظارة الداخلية في العاصمة العثمانية عن هذا الأمر مبلغاً بما حوته رسالة الملك عبدالعزيز السالفة إلى متصرف الأحساء ومرفقاً إياها طي كتابه ، وعلى الرغم من أن والي بين أن سحب ابن عذل من الأحساء هو في مصلحة الدولة نظراً لما يشكله وجوده من قلق للسلطات العثمانية التي تخشى وجوده هناك إلا أنه عاد ليؤكد رأي متصرف الأحساء بأن الملك عبدالعزيز بسحبه ابن عذل من الأحساء سوف يعمل على إثارة المشاكل فيها « .. وإذا علم هذا فإن إبقاء مثله ... يعد أثراً من آثار طاعته وإخلاصه للدولة ..» ، كما بين أن الدولة لاتمانع في سحب ابن عذل من الأحساء إذا أصر الملك عبدالعزيز على ذلك ، مع إشعاره بأن ذلك الأمر متروك لرغبته وصلاحياته^(٦٩) .

وقد عُرض الأمر على الصدر الأعظم وأبلغ أن صالح بن عذل قد أوضح لمتصرف الأحساء مشافهة تلقيه أوامر الملك عبدالعزيز بمغادرة الأحساء ، فأصدر الصدر الأعظم أمره في ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ / ٣ يناير ١٩١٠ م إلى نظارة الداخلية بالتنسيق مع ولاية البصرة ومتصرف الأحساء والتحقق أكثر من الأمر ومن ثم عرض الموضوع من جديد لأخذ القرار النهائي^(٧٠) ، غير أن ابن عذل لم ينتظر انتهاء تلك المراسلات وصدور إذن السلطات العثمانية له بمغادرة الأحساء بل أبلغ متصرف الأحساء عارف باشا أنه تلقى الأوامر من الملك عبد العزيز بمغادرة البلدة ثم بادر بمغادرتها بالفعل يوم ١٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٩٠٩ م حسبما أكده المتصرف في رسالته إلى الملك عبدالعزيز في ذلك التاريخ ؛ موضحاً في تلك الرسالة أن ابن عذل لم يتأخر طيلة مدة وجوده «عن إظهار الخدمة للدولة العلية امتثالاً لأوامرهم له»^(٧٠) .

ويلاحظ أن عارف باشا حاول في رسالته هذه كتمان غضبه من طلب الملك عبدالعزيز ومن تصرفات ابن عدل ؛ خلافاً لما أفصح عنه في رسالته إلى والي البصرة ؛ ولعل ذلك رغبة من المتصرف في تهدئة الوضع مع الملك عبدالعزيز وعدم استثارته ضد السلطات العثمانية في الأحساء والتي باتت تتخوف من هجوم مرتقب من قبله .

وفي العاشر من محرم ١٣٢٨ هـ / يناير ١٩١٠ م رفعت نظارة الداخلية مذكرة إلى الصدر الأعظم أبلغته فيها أن ابن عدل قد غادر الأحساء بالفعل متجهاً إلى الرياض دون انتظار الرد الرسمي العثماني على طلب المغادرة ، وبالتالي لم تعد هناك حاجة لتوجيه خطاب رسمي إلى الملك عبدالعزيز يتضمن إبداء الرأي بشأن مغادرته من موافقة أو رفض^(٧١).

لقد كان لمهمة ابن عدل تلك التي قاربت العام أو جاوزته أثر مهم في تمهيد الطريق أمام الملك عبدالعزيز لضم الأحساء إذ تمكن من التعرف على قوة الحامية العثمانية في الهفوف ، كما اتصل بالقبائل واطلع على مشاعرها الرافضة للحكم العثماني، وكانت آراؤه ومقترحاته من عوامل نجاح خطة ضم الأحساء بعد ذلك^(٧٢).

يقول محمد بن صالح العدل : « كنا في روضة التنهات وسمعت الملك عبدالعزيز يتحدث إلى الشيخ فؤاد الخطيب* قائلاً: أشار علي صالح بن عدل قائلاً مالك حكم يا إمام إلا بضم الأحساء ولا بد لك من منفذ على البحر، واستشرت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وقال الرأي مارآه ابن عدل^(٧٣)... » ولا شك أن هذا القول مما يؤكد أن ابن عدل لعب دوراً في تحفيز الملك عبدالعزيز على ضم الأحساء منذ عودته منها حين تكشفت له أوضاعها ووضع اللبنة الأولى لحكم الملك عبدالعزيز فيها .

* كان الشيخ فؤاد الخطيب يشغل وزيراً لخارجية الشريف حسين ثم ابنه علي وبعد دخول الحجاز تحت حكم الملك عبدالعزيز انضم الخطيب اليه وأصبح أحد رجال السياسة لديه فهد المارك : المصدر السابق ١٧٩/١ - ١٨٠.

ج - مهمته في جبل شمر (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م)

في الوقت الذي أرسل الملك عبدالعزيز طلباً للمسؤولين العثمانيين يبلغهم رغبته بسحب ممثله العذل من الأحساء، كان أيضاً يخبرهم بنجاحه في السيطرة على بلدة الحريق^(٧٤) جنوبي نجد وإنهاء مشكلة الهزازنة* فيها وذلك في أواخر سنة ١٣٢٧ هـ، ولم يكد ابن عذل يصل إلى الرياض إلا وكان الملك يواجهه مع مطلع السنة الجديدة مشكلة أخرى تمثلت بثورة العرايف** الأمر الذي يوحى بوجود ارتباط بشكل أو بآخر بين هاتين المشكلتين^(٧٥)، على أن المشكلة الأكبر التي واجهها الملك خلال هذه الحقبة هي تلك الاتصالات المريبة بين خصمه سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد أمير جبل شمر وأمير الحجاز الشريف حسين بن علي الذي تولى إمارتها بدعم من قبل جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على الحكم العثماني إثر عزل السلطان عبدالحميد الثاني وكانت تلك الاتصالات تهدف للتخطيط لغزو مشترك ضد الملك عبدالعزيز^(٧٦) الذي زاد موقفه حرجاً حينما طلب منه أمير الكويت مبارك الصباح النجدة لمواجهة هجوم عثماني يقوده ضده سعدون باشا السعدون بسبب مناوآته للاتحاديين، وإزاء ذلك لم يكن الملك عبدالعزيز ليواجه تلك الجبهات في آن واحد مما حدا به للعمل على إجراء مفاوضات مع ابن رشيد هدفها عقد هدنة بين الجانبين يضمن من خلالها وقف الاتصالات المريبة بين جبل شمر والحجاز ومنع هجومهما المتوقع ضده^(٧٧) ثم يتمكن من التفرغ للقضاء على مشكلة العرايف وينظر في مساعدة الشيخ مبارك .

وقع اختيار الملك عبدالعزيز على صالح بن عذل ليكون مبعوثه الدبلوماسي إلى جبل شمر ولعل هذا الاختيار جاء بناء على معطيات متعددة ترجح كفة هذا الرجل لتولى

* الهزازنة من آل هزان من عترة وموطنهم الحريق جنوبي نجد وقد قضى الملك عبدالعزيز على تمردهم
بنهاية عام ١٣٢٧ هـ. المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨١ .

** هم أقارب الملك عبدالعزيز الذين خلصهم من أسر ابن رشيد إبان ضمه للقصيم سنة ١٣٢٢ هـ،
نفس المصدر، ص ١٨١-١٨٢ .

تلك المهمة ، فعلاقته السابقة بآل رشيد خاصة الأمير الراحل عبدالعزيز بن متعب تؤهله ليلقى القبول والاحترام من قبل نجله الأمير الحالي سعود بن عبدالعزيز وبالتالي تجعله يدخل بكل ثقة في المفاوضات من الجانبين السياسي بتمثيله الملك عبدالعزيز والإنساني باعتباره شخصاً مقبولاً لدى ابن رشيد ، كما أن صلة ابن عدل بالدولة العثمانية وحسن علاقته بالقادة العثمانيين الذين منحوه أكبر الألقاب السائدة تجعله ملماً برغبات جميع الأطراف بما فيها الدولة العثمانية التي لاتزال ترى في نفسها البيت الكبير لاحتواء القوى المختلفة داخل الجزيرة العربية ، لاسيما أن ابن عدل لايزال قريب عهد بمجريات السياسة العثمانية إذ لم يمض عام على عودته من الأحساء كمندوب للملك عبدالعزيز هناك .

اتجه ابن عدل إلى جبل شمر سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م وعمل على استمالة مشاعر ابن رشيد وإقناعه بأن هذه فرصته السانحة للتقارب مع الملك عبدالعزيز وعقد الصلح معه لأن انشغاله بالمشكلات المحيطة به يجعله أكثر تقبلاً للصلح ؛ خلافاً فيما لو تفرغ لجهة واحدة فإن قبوله للصلح سيكون مرتبطاً بفرض شروطه على ابن رشيد، كما أظهر ابن عدل لابن رشيد الصدق في النصيحة لقبول الصلح في ظل الضعف الذي يشهده حكمه إذ إن كفة القوة بين الطرفين تحولت كثيراً لمصلحة الملك عبدالعزيز كما ظهر في معركة الأشعلي التي خسرها ابن رشيد السنة المنصرمة قرب حائل ؛ كما أن بيت آل الرشيد شهد خلال السنوات القليلة الماضية كثيراً من المذابح بين أفراداه طمعاً في الحكم، مما جعل العثمانيين يعملون للبحث عن حليف آخر تمثل في الشريف حسين ، وقد حذر ابن عدل الأمير سعود بن رشيد من التعاون مع الشريف أو الاطمئنان له مؤكداً ضرورة الابتعاد عن الاندفاع في هذا الجانب غير المأمون ، خاصة أن صورة الشريف المخادعة قد اتضحت باندفاعه إلى جانب الاتحاديين وحرصه على مصالحه دون اهتمام بمصالح الآخرين^(٧٨) ، ثم عاد ابن عدل لأسلوب الترغيب حيث أخرج ورقة بيضاء مختومة بختم الملك عبدالعزيز يخوله فيها بالاتفاق مع ابن رشيد بما يراه وذلك ليطمئنه أن ما سيتم الاتفاق عليه بينهما سيلقى قبول الملك ، وقد تمكن ابن عدل بمفاوضاته مع ابن رشيد ووكيله زامل السبهان من إقناع الطرف الآخر بعقد الصلح الذي تضمن تعهد

ابن رشيد بعدم التعدي على مصالح الملك عبدالعزيز في نجد وعدم التعاون مع القوى الأخرى ضده بما فيها قوة الشريف ، وبناء على ذلك بعث الأمير سعود بن رشيد رسالة للشريف يبلغه فيها بانشغاله ببعض المشاكل في حدوده الشمالية مما يعني تعذر التعاون بينهما لمهاجمة الملك عبدالعزيز كما كان مخططاً له^(٧٩)، أما المكسب الوحيد لابن رشيد من جراء ذلك الصلح فكان يتمثل بحصوله على زكاة حرب وهتيم وبني عبدالله من مطير^(٨٠).

لقد كان هذا النجاح لابن عذل في مهمته الشاقة تلك مفاجأة للجميع إذ إن جبهة النزاع بين الجانبيين وفي أفضل ظروف الملك عبدالعزيز القوية لم تشهد قبول ابن رشيد بصلح تام فكيف بهذا الصلح يتم في مثل هذه الظروف الحرجة بالنسبة للملك ، ولذلك فلم يكن أكثر المتفائلين بما فيهم ابن عذل نفسه يتوقع أن يتم الصلح بشروط مجملها لمصلحة الملك عبدالعزيز وهذا ما جعل المؤرخ مقبل الذكير يعبر عن مهمة ابن عذل تلك بقوله : " فاز ابن عذل بنجاح مهمته فوزاً لم يكن يؤمل به وأقنع ابن رشيد بوجوب عقد الصلح مع ابن سعود^(٨١) " . ولا شك أن هذا النجاح تحقق بفضل الله ثم بما أعطاه الملك عبدالعزيز من ثقة وصلاحيات مطلقة لابن عذل الذي وظف مواهبه الدبلوماسية وقدراته الشخصية للخروج ببلاده من ذلك المأزق الذي أحاط بها ، وعلى إثر هذا الصلح الذي صمد لأكثر من سنتين تمكن الملك عبدالعزيز من توحيد الشريف حسين بعد حملته الفاشلة على نجد في تلك السنة (١٣٢٨هـ) والتي انتهت بعقد هدنة بين الطرفين^(٨٢)، كما تسنى له العمل على مساعدة مبارك الصباح والقضاء على مشكلة العرايف^(٨٣).

د- مهامه السياسية والعسكرية في الحجاز

١ - مفاوضاته الأولى مع الشريف حسين (١٣٣٠/١٩١٢م)

على الرغم من أن الملك عبد العزيز كان قد أبرم صلحاً مع الشريف حسين سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م إلا أن الأخير وبتحريض من الاتحاديين سرعان ما عاد لإثارة المشاكل ضد الملك عبدالعزيز بعد محاولاته لإقناع المسؤولين العثمانيين وأمراء الجزيرة

العربية بفكرة الوحدة العربية؛ وهو ما يتعارض مع سياسة حكومة الاتحاديين التي سعت لإثارة المشاكل ضده عن طريق بعض قياداتها ومن أبرزهم الشريف حسين الذي أخذ يحرض القبائل المتاخمة لحدود نجد مع الحجاز،^(٨٤) ولم يكتف بذلك بل قام بإعلان المقاطعة ضد أهل نجد ومنعهم من الحج ثم جاءت قمة التوتر حين قام أتباعه بالاعتداء على تجار شقراء أثناء ممارسة نشاطهم التجاري في الحجاز سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م وسلب أموالهم^(٨٥).

من جديد وجد الملك عبد العزيز نفسه محاطاً بأكثر من خصم في آن واحد حيث الشريف والعرايف وراشد الهزاني وفئات من قبيلة عتيبة على حدوده مع الحجاز فأدرك صعوبة مواجهة هذه القوى مجتمعة فرأى أن يفاوض القوة الأكبر وهو الشريف حسين مدركاً أن عقد الصلح معه سيمكنه من التصدي للبقية، وقد وقع اختياره من جديد على الدبلوماسي المتمرس صالح العذل ليقوم بالمهمة وحمله رسالة حاول من خلالها إضفاء عبارات الاحترام للشريف أملاً في كسب جانبه ثم ختم الرسالة بقوله: «إننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة...»^(٨٦) مشيراً إلى المعاهدة التي سبق أن وقعها الطرفان عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، وتضمنت الرسالة أيضاً طلباً برد أموال تجار شقراء التي سلبوا إياها في الحجاز، كما بعث الملك عبد العزيز مع ابن عدل هدية للشريف حسين عبارة عن أربع من الخيل ومثلها من الإبل، وقد انطلق ابن عدل من الرياض إلى الحجاز مطلع شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م فيما خرج الملك من الرياض لمهاجمة قبيلة عتيبة ومن معها من المتمردين^(٨٧).

وصل ابن عدل إلى مكة المكرمة واستقبله الشريف استقبالاً لائقاً وتقبل الهدية، وبدأ التفاوض معه، ولم يلبث الشريف أن أرسل رجاله في جمع أموال تجار شقراء المسلوية، مما يدل على نجاح ابن عدل خلال فترة وجيزة في إقناع الشريف بالأمر ووصوله إلى حل يرضي الطرفين، غير أن الحال تبدل فجأة إلى العكس وأصبح ابن عدل في موقف لا يحسد عليه حينما وصلت أنباء هجوم الملك عبد العزيز على عتيبة وقتل قائدها عفاس بن محيا في عالية نجد، فوقع الخبر على الشريف وقوع الصاعقة وتبدل

موقفه اللين إلى غضب شديد واستدعى ابن عذل وأبلغه بالأمر وطلب منه المغادرة إلى الرياض وإعادة هدية الملك إليه ^(٨٨) فلم يستسلم ابن عذل للأمر بل حاول إقناع الشريف حسين بعدم الاستجابة لوشايات عتيبة لكنه أصر على موقفه ، ثم تحدث ابن عذل مع كبار رجال الشريف وعلى رأسهم زيد بن فواز لحثهم على إقناع الشريف بتغيير موقفه غير أن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً ^(٨٩) رغم محاولة الشريف التخفيف عن صالح وإفهامه أن اللوم لا يقع عليه فيما حدث ، مقدماً له هدية تتمثل بمائة جنية وكسوة ^(٩٠) مع طلب بالمغادرة إلى بلاده دون أن يزوده بخطاب إلى الملك عبد العزيز معللاً ذلك بعدم الحاجة للخطابات وأنه سوف يسوي الأمور بيده ! ^(٩١) ، وعلى الرغم من الوضع الحرج لابن عذل إلا أنه لم يغادر الحجاز قبل تسجيل موقف أمام الشريف حسين فرفض هديته وأبقاها لدى شخص يدعى إبراهيم بن نفيسة طالباً منه تسليمها لرجال الشريف بعد أن يترك ابن عذل الحجاز عائداً إلى الرياض ^(٩٢) .

ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن عذل قام بذبح الخيل التي أعادها الشريف معه ثم سار ليلاً إلى الرياض ، وعندما علم الشريف بذلك أرسل القوات لملاحقته فلم تفلح بالقبض عليه ^(٩٣) ، ومن المرجح أن إقدام ابن عذل على ذبح الخيل كان خشية من تعرضه لهجوم أنصار الشريف من عتيبة وغيرهم حين يروونه عائداً بها فيعرفون أن الشريف رد الهدية ولم يعقد معه صلحاً .

وعلى الرغم من عدم توقيع صلح مع الشريف حسين إلا أن مما يسجل لابن عذل أن المرحلة الأولى من تلك الرحلة تكللت بالنجاح حيث أقنع الشريف بمساعاه وجعله يعمل على إعادة أموال تجار شقراء وأصبح توقيع الصلح معه وشيكاً ، كما أن مما يحسب لابن عذل أيضاً في المرحلة الأخيرة من مهمته تماسكه وصموده واستمراره في محاولة إقناع الشريف سواء بشكل مباشر أو عن طريق أتباعه بالاستمرار في طريق الصلح ، وحين تعذر ذلك عامل الشريف معاملة الند فرفض هديته معاملة بالمثل . وعلى أية حال فإن إخفاق ابن عذل بالتوصل للصلح مع الشريف أمر أملته الظروف المستجدة لا بتقصير منه بدليل أن الملك عبد العزيز لم يلبث أن أعاده مجدداً في نفس المهمة وسط ظروف أخرى .

وحين انتهى ابن عدل من مهمته تلك اتجه إلى الرس لزيارة أهله وأقاربه باستئجار مقرأ لسكنائه ولخيله مما يؤكد ارتباطه بالبلدة واتخاذها منطلقاً لكثير من مهامه^(٩٤).

٢- مهمته السياسية في شمال الحجاز والمدينة المنورة (١٣٣٢/ ١٩١٤م)

حين لم تؤد مهمة ابن عدل المأمول منها عادت الاضطرابات وتوتر العلاقات بين الملك عبد العزيز والشريف حسين الذي تزايد احتمال عودته من جديد للتعاون مع القوى الأخرى ضد ابن سعود لا سيما ابن رشيد والدولة العثمانية التي سعت لجمع مؤيديها ضد فكرة الوحدة العربية التي نادى بها الملك عبد العزيز .

وعلى الرغم من توقيع الصلح مع ابن رشيد من قبل إلا أن الملك عبد العزيز حرص على مراقبة الوضع والتنبيه لما كان محتملاً من وجود مؤامرة تحاك ضده من تلك القوى ، لذلك فإنه أرسل صالح بن عدل للمراقبة سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م في المناطق الواقعة بين الحجاز وجبل شمر وطلب منه الاستعانة بالعيون أيضاً لمراقبة المناطق الموصلة بين جبل شمر والدولة العثمانية في ظل توقع استعانة ابن رشيد بتلك الدولة تحسباً لاشتباك وشيك مع الجانب السعودي، وقد صدق حدس الملك عبدالعزيز؛ ففي الخامس من محرم ١٣٣٣هـ / ٢٤ نوفمبر ١٩١٤م أرسل إليه ابن عدل رسالة أبلغه فيها بأن الأحوال هادئة في المناطق بين المدينة المنورة وجبل شمر غير أن أحد رجاله وهو علي المطوع قد وصل من الجوف وأبلغه أن رشيد بن ليلي وكيل ابن رشيد في العاصمة العثمانية قد تحرك منها بالجنود والأسلحة لدعم بن رشيد وتمكينه، وأوضح ابن عدل بأنه سيرسل المزيد من الأخبار حول هذا الأمر في رسائل أخرى ، كما بين في رسالته أن بعض رجاله القادمين من الحجاز أبلغوه بأن الشريف عبد الله بن الحسين قدم إلى الطائف وأن الأحوال هناك تسير بشكل اعتيادي^(٩٥). ويلاحظ في رسالة ابن عدل هذه مدى الجهد الكبير الذي بذله لمراقبة الوضع عبر مساحة تمتد من الجوف شمالاً وحتى الطائف جنوباً ، وتمكنه من الحصول على أخبار في غاية الأهمية خاصة المساعدات العثمانية لابن رشيد بقيادة ابن ليلي الذي عرف عنه الخبرة والدراية بأنواع الأسلحة وفاعليتها خاصة الألمانية

منها والتي تصل إليه بواسطة العثمانيين حلفاء الألمان، وكان أهل نجد يطلقون على تلك الأسلحة (سلاح ابن ليلي) لشهرتها وجودتها^(٩٦)، وهذا ما يجعل اكتشاف تحركات ابن ليلي أمراً شديداً الأهمية للملك عبد العزيز كي يتخذ الحيلة لمواجهة هجوم مرتقب من ابن رشيد وهو ما تحقق في معركة جراب التي دارت رحاها بين الجانبين في الثامن من ربيع الأول ١٣٣٣هـ أي بعد شهرين من تلك الرسالة .

ولقد ساء موقف الملك عبد العزيز بعد المعركة حيث فقد ما معه من الأمتعة والجمال إما بسبب هجوم شمر عليها أو بسبب انتفاض العجمان عليه وأخذ ما استطاعوا منها، كما أنه فقد في المعركة بعض رجاله البارزين ومنهم محمد بن جلوي وفقد ضيفه الضابط البريطاني شكسبير الذي كان في مهمة تفاوضية معه فأصر على حضور المعركة وتصويرها^(٩٧) .

وفي ظل هذا الوضع برز دور صالح العذل متمثلاً في المساهمة الكبيرة في تخفيف ذلك العبء عن الملك حيث نجح عبر مفاوضات دخل بها مع الوالي العثماني في المدينة المنورة في إقناع ذلك الوالي بدعم الجانب السعودي مالياً مذكراً إياه بحسن موقف ونوايا الملك عبدالعزيز بإعلان ولائه السابق للدولة العثمانية ؛ فوافق الوالي على دعمه بعشرة آلاف ليرة عثمانية أملاً في استمالته للدولة في ظل وقوفها على أعتاب الحرب العالمية الأولى وحاجتها لدعم جميع قادة الجزيرة العربية في تلك الحرب ، وهذا ما يفسر ازدواجية سياستها باسترضاء طرفين متحاربين ودعمهما في آن واحد، والمهم في الأمر أن عودة ابن عذل بذلك المبلغ جاءت في ظل ذلك الظرف الحالك لتساهم مساهمة فاعلة في فك الضائقة المالية التي يواجهها الملك عبدالعزيز؛ الأمر الذي ساعده على جمع قواه والتحرك من القصيم في ربيع الآخر ومهاجمة أتباع ابن رشيد في الأطراف الشمالية وأخذ كثير من مواشيهم^(٩٨) .

٣- مفاوضاته الثانية مع الشريف حسين (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

تزايدت ثقة الملك عبد العزيز بصالح العذل يوماً بعد آخر، وعلى الرغم مما حدث في

رحلته السابقة للحجاز عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م إلا أنه حظي بالثقة للعودة إلى المهمة ذاتها؛ فعلى إثر توقيع معاهدة دارين في صفر ١٣٣٤هـ / ديسمبر ١٩١٥م مع بريطانيا أراد الملك عبد العزيز أن يطلع الشريف على فحوى تلك المعاهدة التي تعترف بريطانيا بموجبها به حاكماً مستقلاً لنجد والأحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها، كما أراد أيضاً التنسيق معه لاتخاذ موقف محدد من الحرب العالمية الأولى المندلعة منذ سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، والتنسيق حول العلاقات المتذبذبة بين الجانبين^(٩٩).

وقع الاختيار على صالح العذل ليكون سفيره في هذه المهمة وما ذاك إلا بما اكتسبه من خبرات ومهارات دبلوماسية إضافة إلى أنه قد نجح في مهمته السابقة في الحجاز بكشف توجهات الشريف ونواياه، كما أنه نجح ببناء رصيد في العلاقات الشخصية مع بعض قيادات حكومة الحجاز ورجالاتها.

حمل ابن عذل معه رسالة من الملك عبد العزيز للشريف حسين تضمنت ما دار في معاهدة دارين والدعوة لتحسين العلاقات بين الجانبين واتخاذ موقف موحد من الحرب العالمية الأولى بما يخدم الأمة العربية، كما حمل ابن عذل معه هدية للشريف هي عبارة عن عدد من الخيل والإبل^(١٠٠).

وقد حمل الملك عبد العزيز ابن عذل أيضاً رسالة إلى الشريف عبد الله بن الحسين يبلغه فيها تحياته ويعاتبه لعدم رده على رسائل سابقة كان قد بعثها إليه^(١٠١)، كما وجه رسالة أخرى للشريف شاكر ابن زيد أحد قادة الشريف ووزرائه يبلغه فيها تحياته ويطلب منه العمل مع ابن عذل لإبلاغ وجهات النظر الشفوية التي يحملها إلى الشريف حسين^(١٠٢) بالإضافة إلى ذلك كلّف الملك ابن عذل بشراء خادمين وخادمة من الحجاز والتي كانت تنتعش فيها تجارة الخدم آنذاك^(١٠٣).

كان اتجاه صالح العذل إلى الحجاز على الأرجح في شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٣٤هـ / يناير ١٩١٦م وذلك باعتبار عودة الملك عبد العزيز من مؤتمر دارين (صفر ١٣٣٤هـ) وعودة ابن عذل من مهمته في الحجاز حاملاً رسائل مؤرخة في جمادى

الأولى / مارس من نفس السنة، وقد التقى ابن عذل بالشريف حسين ونقل له تحيات الملك عبد العزيز وسلمه الهدية فتلقاها بالقبول^(١٠٤)، كما شرح ما حمله من إفادت شفوية تتعلق برؤية الجانب السعودي إزاء الاحداث السائدة، ولم يعط الشريف رداً حاسماً حول تلك الموضوعات؛ بل جعل رده مبهماً يحتمل التأويل؛ وكان ذلك بسبب توجهاته للعمل سراً مع الممثل البريطاني في مصر السير هنري مكماهون والتخطيط معه لإعلانه الثورة ضد الحكم العثماني في الحجاز والشام والتي أعلنها بالفعل بعد مغادرة ابن عذل للحجاز بما يقارب ثلاثة أشهر؛ ولذلك فإنه قد كتم رغباته تلك ولم يبدها لابن عذل بل اكتفى بتزويده بخطاب للملك عبد العزيز «نصفه شكر والنصف الآخر إبهام في أسلوب المجاملة» حسب تعبير المؤرخ أمين الريحاني^(١٠٥).

وعلى الرغم من هذا الرد المخيب للأمال إلا أن ابن عذل تمكن من الوصول إلى تفاهم سياسي مع كبار قادة الشريف حسين ومن أبرزهم ابنه الشريف عبد الله والشريف شاكر بن زيد؛ ففي رسالة مؤرخة في الثامن عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ / مارس ١٩١٦م حملها ابن عذل إلى الملك عبد العزيز أبلغه فيها الشريف عبد الله بوافر تحياته، وأخبره بأنه لم يتأخر في الرد على رسائله إلا لظروفه الخاصة حينما كان خارج الحجاز، ثم ذكر أن والده الشريف حسين قد تكفل بدفع مصاريف شراء الخدم الذين كلف الملك ابن عذل بجلبهم وأنه سيرسلهم بصحبته، كما أبلغه بأنه حمل ابن عذل رسالة شفوية تحمل بعض الآراء في الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، وجاء في الرسالة^(١٠٦): «حضرة الأخ الإمام عبد العزيز السعود سلمه الله ... أهدي الإمام أجزل التحايا والتكريمات، ثم أفيدته بأنني تلقيت بأنامل التكريم والتوقير رقيقة الكريم برفق صالح العذل، وبه وبكل كتاب يرد من الجنب يعاتبني الإمام سلمه الله بعدم إجابتي على خطوطه، والحالة هذه فإنني لم أذكر تقصيري وإهمالي في المجاوبه اللهم إلا في مدة غيابي عن الوطن فهذا شئ عذره واضح ثم أنه حيث صدر الأمر العالي علينا بأن لاندع مركوبكم الموقر يأخذ شيئاً من لوازم الإمام إلا على حساب سيدنا وسيد الجميع، ولدى السؤال عنه ظهر أن الإمام قد أمره بشراء خادمين

وخادمة ؛ فقد صار شراؤهم ودفعت أثمانهم من لدن الخزينة العلية الخاصة بسيدنا حينما إعلامكم بذلك ، وقد أوصينا المحب صالح ابن عدل بما يجب شفاهياً فليسأله الإمام حفظه الله عن ذلك ...» .

كما زود الشريف شاكر بن زيد ابن عدل برسالة أخرى للملك عبد العزيز بنفس التاريخ بين فيها أنه اطلع على ما حمله ابن عدل شفاهاً مما حظي بالرضا والاستحسان من قبل حكومة الحجاز وأبلغه بأنه قد أوصى ابن عدل ببعض الوصايا الشفوية وقد جاء في الرسالة (١٠٧) : «الأجل الأمجد حضرة الإمام عبد العزيز السعود سلمه الله .. وبعد إهداء مزيد من السلام وصلنا مشرفكم الكريم رفق المكرم صالح بن عدل وتلوانه مسرورين وحمدنا الله على صحتكم وقد بلغنا صالح المذكور كل بياناتكم الشفاهية التي جاءت على المأمول فيكم وأخبرنا ولي النعم سيدنا وسيد الجميع بذلك ولا وجدنا عنده ما يخالف المطلوب وقد أفدنا المذكور شفاهاً بما خطر بالبال على سبيل المحبة هذا وكلما يبدو لكم من اللوازم الأمل إفادتنا به حتى نحظى بإنفاده ودم سالم ..» .

تحرك صالح العذل عائداً من الحجاز على الأرجح في الثامن عشر من جمادى الأولى ١٣٣٤هـ / مارس ١٩١٦م كما يتضح من تاريخ الرسالتين اللتين حملهما ، وقد حمل بالإضافة لهما إفادات شفوية من حكومة الحجاز تضمنت بعض المطالب التي تتطلع تلك الحكومة أن يلتزم بها الملك عبد العزيز ومنها عدم الالتفات لمن يلجأ إليه من قبيلة عتيبة بعد تعدياتهم على سلطة الشريف، إضافة إلى تحديد تبعية بعض القبائل وفروعها ممن تقطن حدود الحجاز مع نجد مع تعهد من قبل حكومة الحجاز بعدم إيواء بعض من يحاولون إفساد العلاقة بين الملك عبد العزيز والشريف حسين (١٠٨) .

والملاحظ أن ابن عدل حقق في مهمته هذه لدى الشريف حسين ما لم يتحقق في سابقتها ، خاصة فيما تم من تفاهم بينه وبين كل من الشريف عبد الله والشريف شاكر مما حظي بموافقة الشريف حسين الذي أراد الابتعاد عن الظهور لانشغاله بمفاوضاته السرية مع بريطانيا؛ معتقداً أن الملك عبد العزيز بإيفاده لابن عدل يعمل لكسب الوقت والفوز

بالزعامة لدى الحلفاء^(١٠٩).

وكانت تلك المهمة آخر ما قام به ابن عذل من مهام دبلوماسية وسفارات سياسية إذ تركز نشاطه بعدها بمهمة جباية الزكاة حيث عينه الملك عبد العزيز أميراً للزكاة مع ما تخلل ذلك من عمل عسكري تمثل بمشاركته في حصار المدينة المنورة إبان تحركات الملك لضم الحجاز مع مطلع العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري .

٤ - حصار المدينة المنورة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)

بعد مضي ما يقارب تسع سنوات على مهمة ابن عذل الثانية في الحجاز أصبح الوضع يشير إلى استحالة التفاهم مع الشريف حسين مما حتم على الملك عبد العزيز حسم الأمر معه عسكرياً ، حيث بدأ التحرك إلى الحجاز مع مطلع عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، عامداً لبث السرايا إلى كافة أطرافها وذلك لفرض الحصار على بلدانها ، ولأن المدينة المنورة تأتي في مقدمة تلك البلدان بما تحظى به من أهمية دينية فقد أولاها الملك عبد العزيز اهتمامه باختيار أفضل العناصر البشرية لقيادة الحصار حولها ، فكانت أول سرية وجهت إليها بقيادة صالح العذل^(١١٠) والذي كان بصحبة الملك بالقرب من شقراء فأمره بالاتجاه إلى الرس وزيارة أسرته وأخذ ما يلزمه ومن ثم الاتجاه بصحبة الجنود إلى الحناكية كبداية لحصار المدينة المنورة^(١١١).

وقد كلف ابن عذل بالانتظار في الحناكية والقيام بمهام إدارية تمثلت بإمارة البلدة وزكاتها^(١١٢) ، كما طلب منه الملك عبد العزيز تولى القيادة العليا وانتظار المزيد من القوات حيث انضمت له سرية من جبل شمر ومن ثم بدأ العمل لحصار المدينة المنورة وقطع الإمدادات الواردة إليها من الجهة الشرقية^(١١٣).

كما أرسلت فرقة أخرى من القوات للمدينة المنورة بقيادة إبراهيم النشمي الذي عين مسؤولاً عن أعمال المدينة المنورة منذ صفر ١٣٤٣هـ / أغسطس ١٩٢٤م وذلك لما عرف عنه من معرفة بتجارة السلاح ولما له من خبرة بأراضي المدينة وعلاقاته الجيدة مع رجال القبائل المحيطة بها^(١١٤).

وفي مطلع شهر ربيع الثاني ١٣٤٣هـ / أكتوبر ١٩٢٤م أصدر الملك عبد العزيز أوامره إلى ابن عدل بالتحرك من الحناكية إلى المدينة المنورة وتولي القيادة العامة للقوات المحاصرة بما فيها قوات النشمي الذي أصبح وكيلاً لابن عدل؛ وجاء ذلك الأمر عبر رسالة مؤرخة في الخامس من الشهر المذكور موجهة من الملك إلى النشمي وجاء فيها: ^(١١٥) «حنا حالاً متجهين إلى مكة وكنا أمرين على هجر حرب وأهل القصيم يثورون وعامدين أنهم يتوجهون إليكم، فقد وردت علينا خطوطكم التالية وشفنا رغبتكم ورغبة الناس بوصول طارفة وإنهم منقادين وجهنا لكم صالح بن عدل وخوياه وحررنا معهم مكاتيب لجميع الناس من أشراف وقبائل وأهالي وبيننا لهم اللازم ووصيناهم على الانقياد واتباع الأمر ولا بدكم متواجهين أنتم وابن عدل وخوياه ومطلعين على الخطوط الذي معهم ومخبرينكم بما أوصيناهم به من رأس ابن عدل كفاية وحنا ننتظر رجوع التعريف بوصولهم وقومة أهل طرفكم معهم القومة التامة والانقياد والسمع والطاعة حسب ما عرفناهم به، فأنتم احرصوا على ذلك وصيروا مع صالح بن عدل يد واحدة وساعدوه في جميع الأمور، ولا حاجة أوصيك في ذلك وأن تبين له جميع الموجودات التي تدري عنها، لا تدخر شيء وهذا حسب التفطنة لك ولأما تحتاج لتوصية. هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين».

تبين هذه الرسالة عزم الملك عبدالعزيز وتصميمه على فرض سيطرته على المدينة المنورة حيث طلب من هجر حرب وأهالي القصيم سرعة التوجه إلى إبراهيم النشمي المحاصر للمدينة، كما يتضح أيضاً أن النشمي ومن معه أبدوا رغبتهم في إرسال مزيد من القوات والقادة إليهم فتمت تلبية رغبتهم بإرسال ابن عدل بقواته، ولقد جاء هذا الإجراء في محله فابن عدل شخصية ذات تجارب قيادية ودبلوماسية فريدة داخلياً وخارجياً، كما أنه في قمة نضجه إذ إن عمره يقارب ثلاثة وسبعين عاماً فهو يحمل عصارة التجارب والخبرات، ويتضح من الرسالة أيضاً حرص الملك على تماسك قيادة الجيش حيث طلب من إبراهيم النشمي العمل يداً واحدة مع ابن عدل مع إشعار الجميع بأنهم أهل للمسؤولية، كما أن الملك عبد العزيز أراد أن يعمل ابن عدل بالتعاون مع

النشمي في مهمة حصار المدينة وطلب من النشمي تعريفه بكل ما يلزم وبكل ما لديه من إمكانيات وأسلحة وخطط لتحقيق الهدف المنشود، وفي الوقت ذاته طلب منه إرسال رسالة يشعره فيها بوصول ابن عدل إلى المدينة بمجرد تحقق ذلك. وقد تحرك ابن عدل بقواته من الحناكية إلى المدينة وتولى القيادة العسكرية العليا فيها ، فأرسل النشمي للملك عبدالعزيز يبلغه بذلك ، فجاء الرد من الملك مؤرخاً في ١٢ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ/ نوفمبر ١٩٢٤ م متضمناً أطلاعه على ما ورد، كما جاء في الرد أخبار حول وصول الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وخبر حصار الشريف علي بن الحسين في جدة^(١١٥)، وانطلاقاً من اعتبارات دينية وإنسانية فقد طلب الملك من ابن عدل تشديد الحصار على المدينة وعدم دخولها إلا بعد التنسيق معه^(١١٦)؛ وذلك رغبة بإيجاد وحدة قيادية للعمليات العسكرية في الحجاز بشكل عام^(١١٧)، وخشية من ارتكاب قواته لأعمال عنف ضد البلدة المقدسة وأهلها مما قد يثير مشاعر العالم الإسلامي تجاهه^(١١٨).

وصل ابن عدل المدينة المنورة في نهاية ربيع الآخر ١٣٤٣ هـ فضرب الحصار على جهاتها الشمالية لقطع الطريق على أية إمدادات قد تأتي لنجدتها من الأردن ، كما قام خلال تلك الفترة بشن الهجمات على القبائل الموالية لحكومة الحجاز فانتشرت أخباره بين القبائل التي أوجست الخيفة من تحركاته فلجأت للمسالمة والطاعة فتم له بذلك تطويع القبائل القاطنة شرق المدينة ، وبعد ذلك ضرب الحصار المباشر على سور المدينة المنورة التي تحصن قادتها بزعامة الشريف شحات وقرروا المقاومة ضد ما يقارب ٢٤٠٠ مقاتل يحاصرون البلدة من جميع الجهات ؛ إذ كان ابن عدل -ومعه إبراهيم النشمي- في الشرق والشمال ومن الجنوب والغرب الإخوان بقيادة عبد المحسن الفرم وفيصل الدويش^(١١٩) وكانت القيادة العليا بيد صالح العذل^(١٢٠).

ويشير المؤرخ إبراهيم القاضي إلى أن ابن عدل حين وصل المدينة أرسل أحد رجاله إلى أعيانها يفاوضهم على التسليم فرفضوا ذلك متعللين بوجود بيعة في أعناقهم للشريف علي بن الحسين^(١٢١)؛ ورغم أن ذلك القول قد لا يتفق مع ما سبقت الإشارة إليه بأن الملك طلب من ابن عدل الاكتفاء بحصار المدينة وعدم دخولها إلا بأمر منه إلا أن

المتوقع أن يكون ابن عدل فاوض قادة المدينة لجس نبضهم ومعرفة مدى تمسكهم بالمقاومة ليتسنى له إبلاغ الملك بعزمهم على المقاومة أو التسليم ليس إلا .

وأثناء حصار ابن عدل للمدينة تلقى رسالة من الملك عبد العزيز مؤرخة في الحادي عشر من رجب ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م يبلغه فيها بأخبار الحصار حول جدة وأن قواته سيطرت على أطرافها ولم يبق إلا «جمشة الديرة» أي وسطها ، وأن السبب في عدم اقتحامها ليس الضعف ولا قوة العدو وإنما مراعاة حياة الأهالي والرعايا الأجانب فيها ، كما طمأنه على أحوال الجيش الاقتصادية وتوفر المؤن والغذاء ، وأبلغه بأنه تم نصب اثني عشر مدفعاً لضرب البلدة التي اقترب سقوطها ، وفي ختام رسالته طلب الملك من ابن عدل موافاته بالأخبار أولاً بأول في جبهة المدينة المنورة (١٢٢) ويلاحظ من تلك الرسالة إحاطة الملك عبد العزيز رجاله بتفاصيل الأحداث حيث أخبر ابن عدل بأدق التفاصيل العسكرية والاقتصادية في حصار جدة رغم عدم وجود مسؤولية مباشرة له في هذا العمل ، كما سعى لطمأنة قادته وإشعارهم بأهمية مشاركتهم في تدبير الشؤون العسكرية وعلى الرغم من مسؤولية الملك الجسيمة في جبهة جدة إلا أنه كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة في كافة الجهات؛ لذا فإن ابن عدل سرعان ما أرسل إليه يبلغه بأخبار جبهة المدينة المنورة مبيناً الحاجة لبعض المواد الغذائية ، شارحاً ما حدث من تمرد بعض رجال القبائل في الأطراف الشمالية للمدينة مثل الداغستاني وعلى ناصر وغيرهما ، وقد رد الملك عبد العزيز على رسالة ابن عدل تلك بأن قدم له بعض الوصايا المهمة لإحكام السيطرة على المدينة ومن أبرزها ضرورة اتخاذ منزل يتناسب مع المهام المطلوبة من حيث القرب والبعد من البلدة ، كما أوصاه بالتضييق على المدينة وشن الغارات على من يتعاون معها من القبائل ، وأن لا يكتفي بتتبع الأخبار عن طريق عيونه بل لابد من السعي شخصياً لمعرفة كل الظروف المحيطة ، أما بشأن المتمردين فقد أوكل إليه مهمة اتخاذ ما يراه بشأنهم وأن يتعامل معهم بحذر ولا يركن إليهم معلناً سعادته بانكشاف أمرهم على هذا النحو (١٢٣) .

ومن الواضح أن مهام ابن عدل في جبهة المدينة المنورة قد تزايدت تعقيداً بسبب

تلك الاضطرابات الأمر الذي جعله يلجأ إلى اللين في التعامل معهم محاولاً اجتذابهم في ظل كثرة المهام والأعداد ولذا فإنه سمح لهم بالاتجاه إلى المدينة المنورة بموجب خطابات مكتوبة كانوا يحملونها من أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود، وقد أدى تصرف ابن عذل هذا إلى غضب الملك عبد العزيز منه فأرسل إليه يلومه على ذلك العمل موضحاً أنه كان عليه التصرف مع الداغستاني وأتباعه بحزم وأن لا يتخذوا من تلك الخطابات مبرراً لتهجمهم المخالف، وسرعان ما عالج ابن عذل الموقف حيث قام بمهاجمتهم في العوالي بعد أن رفضوا الخروج والانصياع لأوامره وأخذ بيوتهم وأغنامهم وكان لهذا العمل أثره الكبير في سرور الملك عبد العزيز الذي أرسل إلى ابن عذل يخبره بأنه إنما انتقده فيما سبق بسبب تهاونه مع هؤلاء المتمردين وحين تصرف معهم بحزم فإنه استحق الثناء وقد جاء في الرسالة «إلى جناب الأخ المكرم الأفخم صالح آل عذل كل علومك طيبة ييوحمود، تذكر إن حنا نسبكم نقول أنتم رخوم [ضعفاء لا تحسنون التصرف]، ما يحتاج يوم انكم على درب السبة سبيناكم ويوم جيتوا على درب المدح مدحناكم أما سبكم يوم انك كاتب لي الداغستاني وربعه ييقطعون درب ينبع تقول في الخط جانا حمل معهم خطوط من ابن مساعد وخليناهم يروحون للمدينة : وش تصير هذي ؟ هذي أشك انكم تسبون فيها واجناسها، وأما يوم قلت ... يوم عيوا [رفضوا الطاعة] ... قضينا [هدمنا] بيوت بوسط العوالي وأخذنا الغنم ... هالحين تمدهون [تستحقون المدح] ...» وفي الختام طلب منه الملك الاستمرار بتضييق الحصار على المدينة المنورة وقطع أسبالتها وتطمين الجنود، كما أعاد إخباره بحسن أحوال القوات المحاصرة لجدة مبشراً إياه بنصر قريب (١٢٤).

وفي الثامن من شعبان ١٣٤٣ هـ بعث الملك عبد العزيز رسالة أخرى لابن عذل يبلغه فيها ببعض الأحداث التي وقعت من بعض المتمردين في بدر ورابع وينبع وبقية مناطق شمالي الحجاز والجهود المبذولة للقضاء عليهم، وختم الرسالة بأخبار الحصار حول جدة التي بدأت بتلقى القذائف المدفعية (١٢٥).

ويلاحظ من خلال رسائل الملك عبد العزيز اهتمامه الكبير بجبهة المدينة المنورة

التي يقودها ابن عدل ففي التاسع عشر من شعبان من نفس السنة كتب رسالة إلى سعد الحويفي* يطلب منه التعاون الوثيق مع ابن عدل وتنفيذ أوامره والعمل معه لإبطال فاعلية سكة الحديد التي تربط الشام بشمال الحجاز منعاً لوصول الإمدادات للقوات المحصورة في المدينة المنورة ، وجاء في الرسالة «... المقصد من ذلك أنكم توكلون علي الله وتساعدون ابن عدل وتمشون فيما يريدكم تمشون فيه ولا لأحد عذر ولا حق يتعذر عن هالممشا [هذا الطريق] .. ترا هالممشا أنظره بعين الدقة فمن اجتهد فيه وتقدم عرفت انه ناصح مع المسلمين ويشوف فيه ان شاء الله الجزاء الطيب ومن تأخر عنه يدري إني اطالعه بعين السخط ... المقصود أن عيني اليوم ابن عدل من رضي عنه ابن عدل فيعرف إني راضي عنه والذي ما يرضى عنه ابن عدل ما أكون راضي عنه يكون عندكم معلوم هذا ما لزم » (١٢٦) .

على إثر ذلك الاهتمام والدعم من قبل الملك عبد العزيز نجح ابن عدل بتشديد الحصار على المدينة المنورة من جميع الجهات ومنع الصادر والوارد إليها ومنها وذلك للضغط على الحامية المحاصرة فيها وإجبارها على التسليم، وقد فسرت صحيفة أم القرى في عددها الصادر في ٢٢ رمضان ١٣٤٣ هـ إبريل ١٩٢٥ م هذا العمل برغبة القيادة في تجنب الهجوم المسلح حفاظاً على أرواح الأبرياء، كما أشارت الصحيفة في نفس العدد إلى أن صالح العذل على إثر إحكام السيطرة على المدينة ترك قوة كافية من الجنود واتجه بمقاتلي قبيلة عنزة إلى سكة الحديد وعطلوا مراحل منها وبذلك تم قطع جميع المواصلات بين المدينة المنورة ومعان في الأردن المصدر المحتمل لإمداد المدينة التي أصبحت محصورة تماماً كما تؤكد الصحيفة (١٢٧) .

وإزاء نجاح ابن عدل في مهامه شمال المدينة المنورة ولكثرة المشاكل في تلك الجهات والحاجة لرصد ما تبقى من مراحل سكة الحديد منعاً لأي دعم يصل إلى المدينة المنورة فقد اقترح ابن عدل على الملك عبد العزيز أن يترك إبراهيم الشامي على المدينة المنورة ويتجه هو إلى الجهات الشمالية لرصد تحركات المتمردين ومنع أي احتمال لمساعدة قد
* أحد رؤساء الخوفا من بني سالم من حرب في وادي الحمض شمال غرب المدينة المنورة .

تصل من هناك؛ فوافق الملك على ذلك الاقتراح وأرسل إلى إبراهيم النشمي رسالة في الثامن عشر من شوال بين فيها ما اقترحه ابن عدل^(١٢٨)، وأوصاه بالجد والحرص، كما أوصاه بإرسال الأسلحة والذخائر لابن عدل ومن تلك الذخيرة قموع وبارود وعشرة آلاف طلقة بندقية الأمر الذي يؤكد الحاجة الماسة لدعم ابن عدل في مهمته الشاقة تلك^(١٢٩) والتي واجه خلالها بعض الصعوبات المتمثلة في امتناع بعض رجال قبيلة عنزة عن التعاون معه بحجة الخوف على أهلهم، كما عانى ابن عدل من قلة الذخيرة الأمر الذي جعله يكتب إلى الملك عبد العزيز يبلغه بتلك الصعوبات ملتمساً العذر بأنه لا يستطيع إجبار قبيلة عنزة وغيرها على التعاون معه بالقوة. وقد وجه الملك عبد العزيز له رسالة بتاريخ ٢٧ ذو القعدة ١٣٤٣هـ / يونيو ١٩١٥م بين فيها أن الحصار متواصل حول جدة وأن الأخبار وردت إليه بترحيل الشريف حسين من العقبة، ثم انتقل في رسالته إلى ما شكاه ابن عدل من ظروف وبين أن لا عذر لعنزة حين «تعذروا من جهة أهلهم أن عليهم مضرة، فأنت تخبر ما لنا في أهلهم غرض غرضنا في الرجال إذا صاروا يقومون بالواجب هذا مطلوبنا...» ثم طلب منه معاملتهم بالحسنى ومجايلتهم واجتذابهم للعمل معه مع الابتعاد عن «المصايح [رفع الصوت غضباً] اللي ما فيه فائدة...» كما أخبره بأن الناس يسировن بما يمليه عليهم قادتهم، وأنه لا بد من الصبر والتحمل والتقوي بالله ثم بجنوده وأنه لن يلمس له العذر فيما ذكره من معوقات، لأن توفير الذخيرة العسكرية أمر ميسر وما عليه سوى تحديد مكان ليتم إرسالها إليه بواسطة إبراهيم النشمي الذي تمكن من شرائها من المدينة المنورة؛ فإن لم يكن لديه ما يكفي يتم تزويد ابن عدل ب خطاب لأمير حائل ابن مساعد ليعمل على توفير الذخيرة المطلوبة، وكرر الملك في رسالته ضرورة مواصلة الجهود شمالي المدينة المنورة والعمل على تعطيل ما تبقى من سكة الحديد وأبلغه بإرسال الأمير سعود بن عبد العزيز وخالد بن لؤي لتأديب المتمردين في ينبع والوجه وطلب منه الاتصال بهما وتنسيق العمل معهما مبلغاً إياه بأنه وهما من كبار رجاله وقادته الذين يعول عليهم في خطواته العسكرية متمنياً لهم التوفيق^(١٣٠).

ولقد آتت تلك الجهود ثمارها وحين يذكر التاريخ من كانوا وراء السيطرة على المدينة المنورة فإن ابن عدل في الطليعة؛ إذ إنه وضع الأساس العسكري لحصارها الذي أعيا قادتها فلم يطل صمودهم حيث ظهرت آثار ذلك الحصار وبدأ الأهالي بالخروج وتسليم أنفسهم ، وأخيراً أدرك شحات باشا ومن معه ألا مفر من الاستسلام خاصة حين بلغهم أن صمود مدينة جدة بقيادة الشريف علي بن الحسين على وشك الانهيار فما كان منهم إلا أن أرسلوا إلى الملك عبدالعزيز يبلغونه بعزمهم على التسليم ولكنهم يخشون بطش جنوده ؛لذا فإنهم طلبوا إرسال أحد أبنائه لاستلامها فوقع الاختيار على الأمير محمد بن عبد العزيز لذلك العمل ^(١٣١) ، وجاء الموعد المنتظر يوم ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ سبتمبر ١٩٢٥ م حين سلمت المدينة المنورة له ^(١٣٢) فجاء ذلك الحدث تنويجاً للجهود المباركة التي بدأها الملك عبد العزيز وقادته وعلى رأسهم صالح العذل الذي قضى ستة أشهر من ربيع الآخر حتى شوال من سنة ١٣٤٣ هـ قائداً للحصار المباشر على المدينة المنورة كما قضى الأشهر الستة الأخرى في محاولاته منع المدد من الوصول إليها وقمع من يعملون على إفساد ذلك الحصار . وفي اليوم السادس من جمادى الآخرة ١٣٤٣ هـ / ديسمبر ١٩٢٥ م أعلنت مدينة جدة طاعتها وانضمامها للملك عبد العزيز ^(١٣٣) فالتحق به ابن عدل مباشرة وشهد معه ذلك الانتصار العظيم ثم انضم إلى ركبه في طريق العودة للرياض حيث توقف الركب في المدينة المنورة، ويذكر مدحت شيخ الأرض الطبيب الخاص والمرافق للملك عبد العزيز أن الموكب تحرك من المدينة المنورة إلى الرياض يوم الجمعة ٤ رجب ١٣٤٥ هـ / ٩ يناير ١٩٢٧ م و«..وصلنا مكاناً يدعى الشُقْرة فوجدنا سيارة أصحاب السمو الأمير سعد والأمير منصور ومعهم الشيخ صالح العذل أحد رجال حاشية جلالة الملك واقفة تنتظر قدوم جلالتهم فوقفنا وإياهم من الساعة التاسعة إلى الساعة العاشرة والنصف..» ^(١٣٤) أي أن ابن عدل بعد انتهاء دوره العسكري في حصار المدينة وإتمام السيطرة عليها رافق الأميرين سعد ومنصور ليكونوا في استقبال الملك خلال محطات الطريق المختلفة .

الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، فرضها الله بآل الأغنياء لتعطى الفقراء وهذا ما يجعلها مصدراً مهماً للتكافل في المجتمع الإسلامي^(١٣٥)، ولقد ظلت زكاة البلدان والقبائل على مدى التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى كونها ركناً إسلامياً فهي دليل على الولاء السياسي للدولة إذ إن دفع الزكاة إلى جهة ما إنما يعبر عن تبعية دافعها له؛ وهذا ما يلمس من خلال العلاقة بين الدولة والقبائل أو البلدان القريبة منها على حد سواء .

وحين بدأ الملك عبد العزيز خطواته لتوحيد البلاد كان في أمس الحاجة لموارد مالية تمكنه من بناء جيشه الحديث بشكل يؤهله للتغلب على معوقات وحدة البلاد فأصبحت زكاة القبائل والبلدان أبرز الموارد المرتقبة؛ فبدلاً من ذهاب تلك الزكاة إلى ابن رشيد الذي كان قد فرض سيطرته في نجد أو الشريف حسين الذي بسط سيطرته على بعض القبائل المتاخمة لحدود نجد مع الحجاز أصبح لزاماً على الملك عبد العزيز أن يعمل للحصول عليها باعتباره السلطة الشرعية في البلاد لا سيما أنه تمكن من ضم بلدانها إليه وسط قنوات كبيرة من الأهالي بأحقيته في تلك الزكاة .

وقد عمل الملك عبد العزيز على تحديد الجهة المنوط بها تقدير الزكاة وجبايتها في البلدان والقبائل على الوجه الشرعي دون زيادة أو نقص وهذا ما يعبر عنه الملك عبد العزيز نفسه في رسالة إلى أمين بيت المال في سدير والزلفي حمد بن عبد المحسن التويجري بقوله " ومن قبل زكاة العروض فأنت تدري أن هذا شيء لله ولا قصدنا بها إلا أخذها من الأغنياء ودفعها للفقراء " (١٣٦) وتبعاً لهذا الحرص فقد عمل رحمه الله على وضع ضوابط دقيقة لجباية الزكاة؛ فكان يوكل مهمة جباية الزكاة إلى (المزكّية) وهم مجموعة من كبار رجاله الموثوق بهم ويطلق عليهم مسمى " أمراء " أي أمراء الزكاة ، وحدد لكل منهم مناطق جغرافية وقبائل محددة لا يتجاوزونها إلى غيرها إلا بأمره وكانت هذه المناطق والقبائل تزيد بحسب اتساع المناطق المدرجة تحت حكمه، وبالإضافة إلى أمير الزكاة أو المزكّي كان هناك العمّال والكتّاب والقبّاض (المستلمون)، وللأمراء حق النظر في التعدييات والخيانة ممن هم دونهم، ويتولى رئيس الكتّاب

المحاسبة، وعلى الكتاب والقباض طاعته والإجابة على أسئلته^(١٣٧)، ويقوم المراقبون (الناظرة) بالإشراف العام على عملية جباية الزكاة، وقد كلف الملك عبد العزيز أمراء القبائل خلال مرحلة تقدير الزكاة (الخرص) بالحضور شخصياً أو حضور من ينوب عنهم وأن يقوموا بمساعدة جباة الزكاة وإرشادهم إلى جميع المواقع الزراعية أو مواقع المواشي وأوجلبها إلى موقع العمال وعدم إخفاء شيء منها، وطالبهم بإبلاغ المالية بموعد الخرص المحدد لهم، وفي الوقت ذاته طلب من المالية سرعة إرسال العمال بمجرد حلول موعد الزكاة وعدم تأخير ذلك مما قد يسبب الضرر لأهالي القبائل والبلدان^(١٣٨)، وقد حذر من لم يلتزم بتلك التعليمات وتوعده بالعقاب، كما وعد من يلتزم بتلك التنظيمات بالمكافأة «فمن عمل بذلك واتبع أو امرنا كافأناه على عمله الطيب ومن قصر فلا يلوم الانفسه...»^(١٣٩).

وقد جرت العادة أن يجتمع أعضاء الفريق المكلف يجمع الزكاة مغرب كل يوم لحصر ما تم استلامه وتدوين ما جبي ويتم تسجيل كل ذلك بسندات رسمية يتبادلونها والأصل يكتبه الناظر بما يطابق الحقيقة الفعلية لمقدار الزكاة^(١٣٩)، ولا يحق لأمر الزكاة صرف شيء منها بتصرف ذاتي إلا في أمر ضروري فيه مصلحة؛ كما يوضح الملك عبد العزيز ذلك الأمر بقوله:

«.. أما الخارج مالهم حق يخرجون لوزيال إلا في أمر لازم ضروري فيه مصلحة...»^(١٤٠)؛ ومن أبرز تلك الضروريات الأوامر التي يصدرها لهم الملك في سداد مبالغ لبعض من لهم حقوق لدى الدولة أو من أراد منحهم بعض الأعطيات السنوية وهي جزء من مصروفات الزكاة^(١٤١)، كما كان على أمير الزكاة تحصيل بعض المتأخرات المالية للدولة لدى بعض الجهات أو الأفراد^(١٤٢).

كان صالح العذل أحد الذين وقع الاختيار عليهم ليكون أحد أمراء الزكاة لينضم إلى غيره في هذا العمل^(١٤٣) غير أنه تميز بما وصلت إليه سمعته في هذا المجال؛ إذ كان له مغامرة كبيرة وخطيرة في جباية زكاة بعض فئات قبيلة عنزة داخل الأراضي العراقية

مما أوقعه في فخ السلطات البريطانية التي ثارت وساورها القلق من جرأته في تلك الحادثة.

. والوثائق التي بين أيدينا والمتضمنة ممارسات ابن عدل مهامه أميراً للزكاة تتراوح في تاريخها ما بين ذي القعدة ١٣٢٨هـ / نوفمبر ١٩١٠م وجمادى الأولى ١٣٤٦هـ / نوفمبر ١٩٢٧م أي أنه عمل في هذه المهمة لما يزيد عن ثماني عشرة سنة كان خلالها يكلف بمهام دبلوماسية وعسكرية أخرى، ولقد كان يجمع أحياناً بين مهمة إمارة الزكاة ومهامه الأخرى تلك كما اتضح حين أرسل للحناكية أميراً لها ولزكاتها وقائداً عسكرياً لحصار المدينة المنورة ، وسيتبين أيضاً من خلال الوثائق عدم حصر نشاطه بركة قبيلة أو بلدة بذاتها ؛ بخلاف ما كان سائداً بل كان يكلف بمهام سنوية في جباية الزكاة في مختلف المناطق وإن كان نشاطه واضحاً بشكل أكبر في الجهات الغربية من نجد وكذا الجهات الشمالية من الجزيرة العربية .

وأول الوثائق المتاحة حول نشاطه أميراً للزكاة تتمثل في رسالة كتبها للملك عبد العزيز في الرابع من ذي القعدة ١٣٢٨هـ / نوفمبر ١٩١٠م أبلغه فيها بأنه قد فرغ من زكاة بني سالم من قبائل حرب ما عدا بعض الجهات في بني سليم حيث ترأسهم شخص أجبرهم على الرحيل تهرباً من دفع الزكاة ، وأن أمير الفوارة حجاب بن نحيت قد جمعهم ووبخهم على ما فعلوه، وبين ابن عدل أنه رفض تقدير زكاتهم أو أخذها ما لم يعودوا إلى منازلهم الأصلية ، كما أن ابن نحيت منعهم من رعي مواشيهم حتى ينفذوا ما طلبه منهم أمير الزكاة، وقد اشتكى ابن عدل في رسالته تلك أيضاً بعض المتهربين من دفع الزكاة ، وكذلك وجود بعض المناطق غربي نجد اختلطت فيها القبائل التي أدت الزكاة مع التي لم تؤدها، وحل هذه المشكلة اقترح ابن عدل اقتراحاً يدل على بعد نظره ويتمثل بإعادة توزيع مناطق كل قبيلة وزكاتها بما يمكن معه السيطرة على نزعات التمرد من قبل بعض الممتنعين عن أداء الزكاة (١٤٤).

وفي سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م وبعد أن أنهى ابن عدل مهمته كموفد سياسي لدى

الشريف حسين للمرة الأولى كلفه الملك عبدالعزيز بتحصيل مبلغ مالي من عوائد الزكاة من علي بن حماد أحد كبار موظفي المالية، غير أن المبلغ لم يكن متوفراً لدى ابن حماد ومع ذلك فإن ابن عدل أصر على تحصيله دون نقص؛ مما حدا بابن حماد إلى عرض الأمر على الملك عبدالعزيز طالباً بإيجاد مخرج له من ذلك الموقف، فأمر الملك ابن حماد بالاتصال بعبدالله بن محمد السبيعي رئيس بيت المال في شقراء ليطلب منه دفع مانقص من المبلغ ومقداره اثنا عشر ريالاً إلى أحد وكلائه في شقراء ليتسنى إرساله المبلغ للرياض وتسليمه لابن عدل، ويلاحظ من خلال هذه الحادثة مدى حرص ابن عدل على عدم التسويف في تحصيل وضبط أموال الزكاة؛ فرغم ضالة المبلغ المتبقي إلا أنه حرص على سرعة استلامه بأية وسيلة^(١٤٥) ودون مجاملة، كما يلاحظ أن جهود ابن عدل لا تتركز في مهمة واحدة بل هو شامل النشاط فبمجرد قيامه بمهمته السياسية في الحجاز وانتهاء مفاوضاته مع الشريف حسين سارع لأداء مهامه في إمارة الزكاة، وهذا ماتكرر مرة أخرى بمجرد عودته من مهمته الثانية في الحجاز سنة ١٣٣٤ هـ حيث خوله الملك عبد العزيز بمتابعة تمويل بعض إنشاءات ديوان البرقيات فأرسل الملك رسالة إلى عبد العزيز الحسيني أحد موظفي ديوان البرقيات يطلب منه القيام بإنجاز بعض الأعمال والإنشاءات التي كلفه فيها في الديوان، وقد أرسل إليه في الوقت نفسه حوالة مالية على صالح بن عدل يستلمها منه كجزء من التكاليف المالية لتلك الأعمال، وهذا يدل أيضاً على أن الملك عبد العزيز كان يستعين بما لدى ابن عدل من أموال الزكاة للصرف في الأوجه المشروعة^(١٤٦).

والسمة الغالبة على نشاط ابن عدل في إمارة الزكاة هو تكرار المشاكل التي تواجهه وتصب في غالب الأحيان في موضوع تهرب بعضهم من أداء الزكاة، لكنه في سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م تعرض لانتقاد من الملك عبد العزيز بسبب بعض سياساته التي يتبعها في هذا المجال ومنها قيامه بإرسال ابنه درهوم^(١٤٧) وأحد رجاله وهو ابن مانع لأخذ زكاة أهل الثامرية جنوب شرق بريدة في القصيم وعدم ذهابه بنفسه لهذه المهمة؛ فكان ذلك سبباً في إرسال الملك له رسالة يعاتبه فيها على عدم ذهابه ويلومه على

ذلك، وعلى الرغم من قناعة الملك التامة بإخلاص ابن عذل وولائه إلا أنه حاول إشعاره بحجم التقصير فتساءل في رسالته إن كان ذلك تمرد منه على الأوامر؟ أم بسبب موقع الثامرية وقربها من جبل شمر وخوفه من ابن رشيد؟ وكانت تلك الرسالة كافية لإثارة مشاعر الولاء لدى ابن عذل فبادر بالرد في منتصف شهر ذي القعدة ١٣٣٨ هـ بخطاب وجهه للملك بين فيه أن السبب في إرسال درهوم وابن مانع قلة المنازل في الثامرية والتي لا تتجاوز عشرة بيوت فرأى أنه لا داعي للذهاب بنفسه، ثم بين له أن إخلاصه وولاءه للملك أمر لا يخالطه شك «.. فيما من طرف خدمك [خدمتك] من يوم جيت إلى إن أواجه ربي والله ما هرجن [حدثني] قلبي بردا ولا فساد بدرب أمشي فيه ويا مازال يدي تلزم العصا ولساني يقدر الهرج أني ما آبا [أرفض] ما أمرتني عليه..» ثم بين له ما يواجهه في إمارة الزكاة من مشاكل وأن القبائل تتهرب من دفعها وذلك بانقسامها إلى منازل متعددة كل منزل بيت أو بيتان مما يجعل الحل المناسب أن يرسل إلى كل منزل وفداً من قبله اختصاراً للوقت وهذا هو ما جعله لا يذهب بنفسه إلى الثامرية، أما مسألة الخوف من ابن رشيد فبين ابن عذل أنه وإن كان متقدماً في السن حيث كان عمره قد قارب السبعين عاماً «... والشايب إذا كبر يغلا عليه عمره ويصير تحسيبه واجد...»، لكنه استحلّفه بالله أن لا يشك في إخلاصه وطاعته، وعاهده على بذل ما يستطيع من جهد في كل عمل يوكل إليه، وختم رسالته بأن طلب منه التماس العذر له لأنه أولاً وأخيراً بشر معرض للخطأ وأنه لم يتعمد الخطأ «.. أما من طرف الزلات فجل من لا عيب فيه لكن لا صارت غرر ماهيب عمد فهي مدروكة...»، ثم شرح في أسفل الرسالة أنه سيواصل عمله وسيتمهجه حالاً إلى موضع طلال وماحولها لتحصيل الزكاة من تلك المناطق (١٤٨).

أثمرت رسالة الملك السابقة لابن عذل فشهدت المرحلة التالية نشاطاً مكثفاً له وأرسل مطلع الشهر التالي إلى الملك يخبره بما تم عمله خلال الأسبوعين السابقين للرسالة حيث تم أخذ زكاة فئات من حرب وهم الفرمة والفردة وبعض بني سالم، وأنه كما أوضح في رسالته السابقة اتجه إلى موضع طلال فوجد فيها بعض القبائل التي

تركت منازلها فرفض تقدير زكاتها وأخذها حتى يعودوا إلى مواطنهم الأصلية؛ وأنه سيعود إليهم بعد ما ينتهي من أخذ زكاة المناطق الجنوبية الغربية من القصيم حيث كان أثناء كتابة الرسالة في دخنة إلى الجنوب من الرس وأنه حين ينتهي من زكاة الشبيكية جنوب غربي الرس سيتجه إلى الجنوب حيث نفي وما حولها. كما بين في رسالته تلك أنه تمكن خلال تلك الفترة من جمع مبلغ تسعة آلاف ريال وأنه قد أودعها عند أمير الرس محمد بن عساف حين إرسال الملك من يستلمها، وأوضح أن ذلك المبلغ يعتبر أقل مما كان يتطلع إليه وعزا ذلك إلى انخفاض قيمة الماشية^(١٤٩)، ومن الملاحظ سرعة تحركات ابن عدل وتنقلاته في أداء مهامه أميراً للزكاة؛ حيث انتقل سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م من الغرب إلى الشرق فأرسل في التاسع عشر من جمادى الأولى رسالة إلى الملك عبد العزيز يبلغه فيها بوصوله الأحساء وأنه في الطريق لأداء مهامه في إمارة الزكاة، كما أبلغه بورود بعض التحويلات المالية عليه من قبل بعضهم وأنه سينظر في إمكانية دفع المبالغ المطلوبة لهم^(١٥٠)، وسرعان ما اتجه شمالاً فأرسل رسالة أخرى في ١٤ ذي القعدة ١٣٣٩هـ / يوليو ١٩٢١م يبين فيها بأنه في الرخيمة (شمال حفر الباطن) لأخذ زكاتها كما أعطى تصوراً عن مناطق عمل بقية أمراء الزكاة في مناطق مختلفة من نجد وغيرها، وتصوراً عن المناطق التي سيقوم هو مع رجاله بتغطيتها، ويّين في رسالته أنه بناء على الأوامر قام بدفع مبلغ خمسة عشر ألفاً وستمائة وخمسين ريالاً إلى أحد عشر رجلاً من المستحقين مبيناً المبلغ المقدم لكل منهم، وأوضح أنه انتهى من زكاة المناطق الشمالية وأنه سيتجه بعد ذلك إلى شمال القصيم مما يلي جبل شمر^(١٥١)، وتدل تلك المبالغ المالية على مدى ما كانت الزكاة تدره من دخل لبيت المال الأمر الذي يوضح أثر جهود ابن عدل في تغذية خزانة الدولة في وقت هي في أمس الحاجة للمال فهذا المبلغ المصروف مجرد جزء من الواردات، ورغم ضخامته قياساً بالأحوال المادية آنذاك فإن ابن عدل كان دقيقاً في مسألة المصروفات ولم يكن يخرج ريالاً إلا بأمر من الملك عبد العزيز فقد أرسل إليه هندي الذويبي أمير هجرة الشبيكية طلباً بصرف مبلغ مالي موضحاً أن الملك قد أبلغه بأنه سيصدر أمره إلى عمال الزكاة بذلك؛ غير أن ابن عدل

اعتذر عن صرف المبلغ وأرسل إلى هندي يبلغه أنه لم يرد إليه شيء بهذا الخصوص وأنه متى جاء أمر بالصرف فسينفذه مباشرة، وطلب منه التماس العذر له لحرصه وحفظه لعمله (١٥٢).

على أن أبرز مراحل عمل ابن عدل وأشهرها في إمارة الزكاة جاءت مع مطلع سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م حين طلب بعض شيوخ قبائل شمالي الجزيرة العربية من الملك عبد العزيز إرسال من يأخذ زكاتهم تعبيراً عن الولاء والتبعية له بعد أن تمكن من فرض سيطرته على معظم أرجاء الجزيرة العربية وأصبح على مشارف الحجاز وكان من هؤلاء الشيوخ جزاع بن مجلاد شيخ الدهامشة من قبيلة عنزة النجدية والتي كانت تقطن داخل الأراضي العراقية (١٥٣)، ولأن الملك عبد العزيز يدرك حساسية موقع ابن مجلاد وقبيلته وما قد يؤدي له ذلك من اصطدام بالسلطات البريطانية في العراق فقد كان عليه أن يحسن الاختيار لمن سيقوم بهذه المهمة من رجاله، ولا شك أن التجارب أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن ابن عدل هو الأجدر؛ لما يمتاز به من فكر سياسي وجرأة على الحق خاصة أن هذه المهمة تقتضي إدخال ابن مجلاد وقبيلته تحت تبعية الملك عبد العزيز بطرق دبلوماسية لا عسكرية؛ في ظل رغبة الملك أيضاً بوضع حد للهجمات المتكررة من بعض القبائل العراقية على حدود بلاده، حيث سبق أن أرسل إلى المندوب السامي البريطاني في العراق في ١٨ محرم من سنة ١٣٤٢ هـ / ١ سبتمبر ١٩٢٣ م لمنع تلك الهجمات (١٥٤).

اتجه ابن عدل ومعه حوالي مائة رجل من الإخوان إلى الأراضي العراقية وقام بطلب الزكاة من القبائل القاطنة بين النجف وكربلاء، ثم اتجه إلى الدهامشة لأخذ زكاتها حسبما أفادت برقية مرسلة من المندوب السامي البريطاني في العراق إلى وزير المستعمرات بتاريخ السابع من صفر ١٣٤٢ هـ / ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ م (١٥٥) وكان ابن عدل يحمل رسالة من الملك عبد العزيز إلى ابن مجلاد حول جمع الزكاة وتسليمها مع توجيه دعوة له لزيارة الرياض (١٥٦).

لقد أثارت تحركات ابن عدل تلك السلطات البريطانية وفي مذكرة سرية من قائد الطيران الجوي في بغداد إلى وزير الطيران بتاريخ ١٠ صفر / ٢٢ سبتمبر أوضح أن ابن عدل استقبل من ابن مجلاد وقبيلته بحفاوة بالغة، وأن رجال القبيلة أبدوا تأييدهم المطلق لابن سعود وممثله، وأعلنوا استعدادهم للمقاومة ضد أي تدخل من جانب حكومة العراق، كما بين أن سلاحهم يتمثل بألف وستمئة بندقية وأن السلطات البريطانية بادرت بإرسال طيارة حربية ومدركات إلى هناك وتسنى القبض على ابن مجلاد ومعه ابن عدل وأُخذوا إلى بغداد وأنهما وقت كتابة المذكرة رهن الاعتقال، وقد وجدت بحوزتهما الأموال التي جمعت كزكاة لترسل إلى الرياض^(١٥٧)، كما وجد مع ابن عدل رسالة كتبها ابن مجلاد إلى الملك عبدالعزيز يوضح فيها استلامه للرسالة التي حملها ابن عدل ويؤكد أيضاً الولاء والتبعية ويعدّه بتلبية الدعوة وزيارته في أقرب وقت، فكان لهذه الرسالة دور كبير في إثارة المندوب السامي الذي دون كل ذلك في رسالته المؤرخة في ١٠ صفر / ٢٢ سبتمبر إلى وزير المستعمرات البريطاني، كما أوضح أن مراسلات ابن سعود مع شيوخ القبائل في العراق أمر غير نظامي، واقترح توجيه احتجاج رسمي إليه على أن يتضمن الاحتجاج إبلاغه أن ممثله صالح ابن عدل سوف يبقى محتجزاً في العراق حتى يتم توضيح الأمر من قبله، وبعد يومين راح المندوب السامي يؤكد ما سبق في برقية أخرى للمكتب الاستعماري التابع للوكالة البريطانية في بوشهر^(١٥٨) ومن الواضح أن اقتراحه بتوجيه احتجاج رسمي لقي الموافقة؛ لذا فقد اقترح في ١٢ صفر / ٢٤ سبتمبر نص الرسالة التي يجب توجيهها بهذا الخصوص متضمنة استلام رسالة ابن سعود المؤرخة في ١٨ محرم / ١ سبتمبر وأن حكومة العراق تبذل جهودها لمنع التعديات على حدود بلاده، وأنها تعمل على طرد المهاجمين من العراق واستعادة ما نهبوه من أموال القبائل النجدية على الرغم من صعوبة مراقبة تحركات القبائل في الصحراء، كما بين المندوب للملك عبد العزيز «... إن إرسالكم صالح العذل لجمع الزكاة من الدهاشة أمر ضد عادات الأمة وأنه يجب أن لا يتكرر ذلك في المستقبل...». وقد أرسل المندوب بضمون تلك الرسالة إلى المكتب الاستعماري في بوشهر والذي أيد ما ورد واقترح

أيضاً إيضاح مدى تأثير ما قام به ابن عذل على الأوضاع السياسية في العراق، كما بين المكتب أن الملك عبدالعزيز يفسر إرسال بن عذل بتلك المهمة بعدم رضاه عن أوضاع القبائل والحدود مع العراق حسبما تم التوصل إليه في معاهدة العقير منذ عام مضي، وأنه لا بد من عقد مؤتمر جديد لمناقشة العلاقات والحدود بين الطرفين^(١٥٩) في ظل انزعاج حكومة العراق من أوضاع القبائل ووجود الرغبة المتبادلة لحل تلك المشاكل^(١٦٠)، وحين وصلت قنوات الطرفين إلى ضرورة عقد مباحثات لهذا الغرض بات من الطبيعي إطلاق سراح ابن عذل خاصة أن الملك عبد العزيز لم يكن ليدخل في تلك المباحثات قبل الموافقة على إطلاق سراحه .

وبما أن الوثائق البريطانية المؤرخة في ٧ صفر ١٣٤٢ هـ / ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ م بينت وصول ابن عذل للأراضي العراقية والاجراءات التي اتخذت إزاءه بينما أشارت الوثائق المؤرخة في ١٠ صفر ٢٢ سبتمبر من السنة ذاتها إلى اعتقاله هناك وأن إطلاق سراحه رهن بوجود تفاهم ومباحثات بين الطرفين ، فجاءت تلك المباحثات في الكويت ابتداء من ٢٤ جمادى الأولى ١٣٤٢ هـ / ٣ يناير ١٩٢٤ م ، مما يعني أن إخلاء سبيل ابن عذل تم قبيل هذا التاريخ وبالتالي يمكن القول أن المدة القصوى لبقائه رهن الاعتقال حوالي ثلاثة أشهر وهي المدة الواقعة بين اعتقاله والمفاوضات .

أما بخصوص تلك المفاوضات فقد حرص الملك عبد العزيز على حفظ حقوق بلاده حيث كلف ممثليه في جلسات مؤتمر الكويت بعدم التفريط بشيء من تلك الحقوق سواء فيما يتعلق بالحدود مع الأردن أو العراق أو مشكلات اللاجئين والهاربين من طرف إلى آخر كما طلب ضرورة بحث مسألة جزاع بن مجلاد وتبعيته لنجد وكذا بقية العشائر النجدية المتاخمة لحدود العراق ، واقترح أن يتم وضع قوة من الطرفين لمراقبة تحركاتها^(١٦١) .

وحيث انعقدت جلسات المؤتمر الخاصة بالعلاقات بين نجد والعراق تم بحث عدة مسائل أبرزها تعهد الجانبين بمنع هجمات القبائل المتبادلة وأن تتولى الحكومتان ردع من

يقوم بتلك الهجمات ، ومن لا يلتزم من القبائل يتم طردها إلى خارج أراضي الحكومة المعنية ، أما جزاع بن مجلاد فقد تم الاتفاق على تخييره بين حكومة العراق أو الملك عبدالعزيز فإن اختار الجانب السعودي فإن عليه الرحيل إلى نجد وعدم العودة للأراضي العراقية ^(١٦٢) ، وعلى الرغم من فشل مؤتمر الكويت بحل المشاكل بين نجد وكل من العراق والأردن إلا أن الملك عبد العزيز قد حقق انتصاراً دبلوماسياً في المؤتمر خاصة في مسألة ابن مجلاد الذي ظل في تبعيته للجانب السعودي حيث تبين رسالة كتبها ابن عدل إلى الملك بتاريخ ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ / أكتوبر ١٩٢٧م أن ابن مجلاد أحد الذين يدفعون الزكاة وأن أمر تحصيل زكاته أصبح منوطاً بابن عدل نفسه ^(١٦٣) .

ومما سبق يتضح أن ابن عدل لعب دوراً كبيراً في حفظ حقوق بلاده بجسارته وتوغله في عمق الأراضي العراقية لأخذ زكاة القبائل المنحدرة من أصول نجدية رغم المخاطر المترتبة على ذلك كما اتضح في موضوع تحصيل زكاة ابن مجلاد .

ولقد استمر ابن عدل في مهامه أميراً للزكاة ؛ فبعد انتهاء مهمته العسكرية في حصار المدينة المنورة بالشكل الذي تم إيضاحه ومرافقته للملك عبد العزيز في طريق عودته إلى الرياض في رجب ١٣٤٥هـ / يناير ١٩٢٧م عاد مجدداً لإمارة الزكاة وذلك على الرغم من بلوغه السادسة والسبعين من العمر ، بل إن مهامه تركزت على الجهات الحساسة من حدود بلاده شمالاً وجنوباً ، ففي رسالته الموجهة إلى الملك في منتصف جمادى الأولى ١٣٤٦هـ / أكتوبر ١٩٢٧م بين خط السير الذي سلكه خلال الفترة القريبة الماضية موضحاً أنه قد انتهى من زكاة الجوبة بمنطقة عسير ثم اتجه إلى الشعيرة بالقرب من القنفذة في الحجاز ^(١٦٤) ، وبعد ذلك اتجه شمالاً إلى الدمامشة من عنزة ووجد أن عدداً من فروع عنزة قد انحدر إلى العراق بحثاً عن المراعي ، وحين مر بجزاع بن مجلاد لم يجد عنده إلا حوالي عشرة بيوت للسبب ذاته فاعتذر ابن مجلاد لمغادرة أتباعه بحثاً عن المراعي ، ووعد بأن الزكاة ستدفع متى حان وقتها ، كما أوضح ابن عدل في رسالته أنه ذهب إلى بعض العشائر التي حل موعد زكاتها فلم تمنع في دفعها ، وأبلغ الملك أن أحد إخوته قد توفي في الرس مما أدى لتأخره هناك لتعزية أسرته والوقوف

بجانبها مبيناً أن أخاه المتوفى ليس لديه من الذرية إلا البنات ، وأنه يلتمس العذر لتأخره بالقدوم إلى الرياض لهذا السبب مبيناً اشتياقه للقاء الملك «ولاً والله العظيم أني لم أخبر لي رغبة في جميع وطن ما انت موجود فيه ..». كما ذكره أنه سبق أن أخذ موافقته على هذا التوقف حينما كان معه في مكة المكرمة السنة الفاتئة قبل عودتهما معا إلى الرياض (١٦٥).

والتأمل في هذه الرسالة يرى مدى الإخلاص الذي اتصف به ابن عذل فرغم الظروف التي ذكرها في الرسالة عن وفاة أخيه وعدم وجود من يعتني ببناته إلا أنه أبى أن يستكين لراحة أو يقدم اعتذاراً عن العمل؛ بل فضل الاستمرار بمهام عمله الرسمي محاولاً التغلب على ظروفه القاهرة .

ويمكن القول إن إمارة الزكاة التي كان ابن عذل أبرز القائمين عليها أصبحت المورد الأول للدخل المالي للبلاد (١٦٦)؛ مما ساهم في سرعة بناء الدولة وتوفير وسائل التنمية الحديثة فيها وإجراء الإصلاحات الإدارية اللازمة؛ الأمر الذي جعل استيفاء الزكاة مطلباً لا حياء عنه؛ لذا فإن الملك عبدالعزيز أصدر قراراً وزارياً برقم ٣٩٤ بتاريخ ٨/٧/ ١٣٧٠ هـ بتأسيس مصلحة الزكاة والدخل لتتولى تلك المهام ولتصبح الزكاة المورد المالي الأول للدولة خلال تلك الحقبة (١٦٧).

رابعاً : مكانته

بلغ صالح العذل مكانة كبيرة لدى الملك عبد العزيز وذلك نظير الأعمال التي قام بها لديه على مدى ستة وعشرين عاماً ، وإذا كان البحث قد تطرق لشيء من ثناء الملك على ابن عذل خلال بعض الحوادث والمناسبات فلعله من المستحسن إيراد بعض مما لم يذكر من عبارات الثناء الصادقة التي أضفاها الملك عليه والتي لا تنبع من مجاملة بل من قناعة تامة ؛ إذ إن الملك لا يتردد في انتقاد ابن عذل ولومه فيما لو قام بما لا يراه مناسباً كما تبين من خلال بعض الرسائل المتبادلة بينهما والتي يتبين منها أيضاً مدى الصراحة والشفافية المتبادلة؛ ففي الوقت الذي يفخر الملك بلقب باشا الذي حصل عليه ابن عذل

عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م ويناديه به أمام الآخرين^(١٦٨) فإنه في مراسلاتهما الخاصة يناديه بكنيته " أبو حمود " ففي إحدى رسائله يقول له : « كل علمك طيبة يا أبو حمود... » ويبين الملك في نفس الرسالة مدى ثقته المطلقة بابن عدل وأنه يفوضه في كل أمر يكلفه به ، ولا يقيد صلاحياته ويقول الملك «... وأنا لو أنني يوم روحتك إنني حددت عليك كان بعد لك ، لكن انت تخبر إذا روحتك في درب قلت يرا الحاضر ما لا يرا الغائب ، وانت خابر إنني إذا روحتك في درب اعتمد على الله ثم عليك ولا أخلف هرجتك بهرجة إلا لو أنني أدور شوط أو شوطين بأي مهام صغيرة قصيرة الأمد ألقيت ناس كثير تبادر ... »^(١٦٩) ، ولا تقتصر هذه الثقة بابن عدل على الرسائل الموجهة إليه فحسب بل إنها تظهر بوضوح في رسائل الملك الأخرى إلى الأمراء والقادة حيث يعطي نفس الثقة لابن عدل ؛ يقول في رسالة موجهة إلى سعد الحويفي :

«... المقصود أن عيني اليوم ابن عدل من رضى عنه ابن عدل فيعرف أنني راضي عنه ، والذي ما يرضي عنه ابن عدل ما أكون راضي عنه يكون عندكم معلوم ... »^(١٧٠) .

ولم تكن تلك الثقة إلا نتاج سنوات طويلة من التجارب الناجحة لابن عدل في مهمات رسمية ولا شك أن ذلك النجاح وما اتصف به الرجل من صدق وإخلاص في النصح وورع وحصافة جعلت الملك يقدره ويفسح له مكانا في مجلسه^(١٧١) ؛ بل إنه اتخذ سميراً له كما يقول أحد رجال ديوان جلالة الملك وهو سعد بن عبد العزيز بن رويشد؛ مشيراً إلى أن ابن عدل كان من جلساء الملك عبد العزيز القدماء الأوائل^(١٧٢) ، ولا شك أن اتخاذه مستشاراً إنما ينبىء عما كان يحمله ابن عدل من مواصفات شاملة تجعله مرجعاً استشارياً للملك في كثير من المشاكل التي تواجهه ، أما كلمه (سميره) فتوحي بالقرب بين الرجلين وأن ابن عدل كان جليساً للملك ليس في المجالس العامة الرسمية فحسب وبل وفي جلساته الخاصة التي عادة ما تقتصر على أقرب المقربين ، وهذا ما يؤكد أيضاً محمد بن صالح العدل على لسان راشد بن رويشد مسؤول البريد لدى الملك عبد العزيز من أن ابن عدل كان يحضر صباح كل يوم تقريباً إلى القصر ويجتمع بالملك ثم يحضر عبد الله ابن جلوي ويجتمع الثلاثة حتى الضحى^(١٧٣) ، وإذا

كانت صفات ابن عذل هي التي أوصلته إلى تلك المكانة فإن مما زاد منها أنه كان متزوجاً من حصّة بنت عبد المحسن بن بتال أرملة محمد بن عبدالمحسن السديري خال الملك عبدالعزيز، والزوجة السابقة للأمير محمد بن عبدالرحمن، وقد زوجها الملك لابن عذل رغبة في بقائه وارتباطه في الرياض بعد أن كان يتردد كثيراً على الرس حيث بقيّة أسرته^(١٧٤)، وقد كان الملك يمنح ابن عذل نفس المخصصات المقررة لرجال البلاط إضافة إلى المقررات المخصصة لأفراد أسرة آل سعود وذلك باعتباره محسوباً من كلا الفئتين^(١٧٥)، كما أصبح ابن عذل مقرباً من أبناء جلالة الملك ومرافقاً لهم ويحظى باحترامهم^(١٧٦)، ولقد انعكست مكانة ابن عذل تلك على أبنائه الخمسة حيث أصبح أكبرهم حمود قائداً للهجانة في جيش الملك عبد العزيز، أما ثاني أبنائه ناصر فقد عين أميراً على النماص^(١٧٧)، فيما كان درهوم مرافقاً لوالده في كثير من مهامه وكتائباً لرسائله الموجهة للملك عبدالعزيز، كما تولى إمارة سامطة ثم وادي الدواسر فالمجموعة، أما الابن الرابع عبد الرحمن فقد التحق بخدمة الملك عبدالعزيز وأصبح من (حملة البندق) وكان من رجال الديوان الملكي^(١٧٨) ثم عمل في وزارة الزراعة، غير أن الابن الأصغر محمد قد حظي بمكانة مميزة وثقة كبيرة من الملك عبد العزيز الذي كلف إحدى زوجاته وهي الجوهرة بنت سعد السديري والدة الأمير سعد بن عبد العزيز بإرضاعه؛ الأمر الذي جعله ينشأ مع أخوته أبناء الملك، ويتلقى تعليمه معهم، وحين أراد الزواج من إحدى بنات اللواء منصور العساف في الرس سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م أمر له الملك بسيارة تحمله إلى هناك ثم تعيده، وفي السنة التالية ولّاه الملك إمارة رجال ألمع في عسير ثم الظفير كما كلف بعد ذلك بمهام أخرى منها تعيينه مديراً لفرع وزارة الزراعة في الرياض^(١٧٩).

وعلى الرغم مما وصل إليه ابن عذل من مكانة لدى الملك عبد العزيز فإنه لم يحاول استغلال تلك المكانة لمصالح ذاتية حتى أنه لكثرة مشاغله ورحلاته أبقى أسرته في الرس لفترة طويلة وكان يقيم شهراً لديها من كل سنة ولم يأت بها إلى الرياض^(١٨٠).

ولا شك أن تلك المكانة لابن عذل جعلته عرضة للوشايات في أكثر من موقف فبعد

الوشاية الفاشلة به من قبل رشيد بن ليلي في الأستانة لدى السلطان العثماني ؛ توضح الرسائل المتبادلة بين ابن عدل والملك عبد العزيز أن هناك من حاول الإيقاع والوشاية به لدى الملك حين كان يقوم بجمع زكاة القبائل سنة ١٣٤٦ هـ، ومن المرجح أن أولئك الوشاة ممن لم تعجبهم حديثه في التعامل معهم لأخذ زكاتهم ومنعهم من المماطلة والتسويف، ورغم انكشاف أمر مثل هؤلاء له إلا أنه كان يوكل أمرهم إلى الله كما كتب في رسالته الموجهة للملك عبد العزيز والمؤرخة في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ فقال: «..والناس مشكاهم إلى الله وكل يلقا ما قدم وهذا واصلك خط بطي الخط وهاذ من جملة تعديهم علينا ولا أخبر رفضنا لكم (أمر) ولا باحثناهم فيه ..»^(١٨١)، غير أن تلك الوشايات لم تؤت أكلها بسبب ثقة الملك المطلقة بابن عدل الذي ظل يقوم بمهامه بإخلاص وتفان .

ولعل من المفيد ذكر بعض الآراء في ابن عدل من قبل معاصريه سواء ممن عملوا معه لدى الملك أو من المؤرخين في عصره؛ فعلى حين يصفه سعد بن رويشد بأنه من جلساء الملك عبد العزيز الأوائل وأنه مستشاره وسميره^(١٨٢) فإن الدكتور مدحت شيخ الأرض الطبيب الخاص للملك عبد العزيز يصف ابن عدل بأنه أحد رجال حاشية جلالة الملك^(١٨٣) بينما يصفه المؤرخ أمين الريحاني من خلال لقائه به بأنه شيخ جليل لا يكثر الكلام يحمل عصا من الشوحط، وأن الملك كان يناديه بلقبه العثماني (الباشا)، وكان الملك يحدث ضيوفه بمهمته التي أنجزها في العاصمة العثمانية، يقول الريحاني: فاجأني الملك عبد العزيز عندما كنا جالسين في جبل أبو مخروق قائلا: «.. هذا صالح العذل ثم ناداه: يا باشا يا باشا تعال تعرف إلى الاستاذ، ثم جاء صالح بيتسم وجلس...»^(١٨٤)، أما مقبل الذكير فقد وصفه بأنه عاقل رزين وكان ذلك في ثنايا حديثه عن مهماته التي أوكلت إليه من قبل الملك عبد العزيز فقام بها خير قيام^(١٨٥) ..

خامساً: وفاته

ظل صالح بن محسن العذل يعمل بجانب الملك عبد العزيز بكل همة وإخلاص

رغم تقدمه في السن ، وإذا كانت آخر نشاطاته في إمارة الزكاة تعود كما تدل الوثائق المتوفرة إلى منتصف عام ١٣٤٦ هـ إلا أنه وحسبما يذكر الشيخ محمد بن عبد الله مانع المترجم في الديوان الملكي قد شارك بجانب الملك عبدالعزيز معركة السبلة الشهيرة^(١٨٦) والتي خاضها ضد المتمردين من الإخوان في ١٩ شوال ١٣٤٧ هـ/ مارس ١٩٢٩ م بالقرب من الزلفي^(١٨٧)، ولم يمنع ابن عذل من ذلك كبر سنه حيث كان وقتها يناهز سبعة وسبعين عاماً، وبعد أن بلغ الثمانين كان قد أصيب بالسرطان الذي لم يمهله طويلاً حيث توفي رحمه الله في الرياض في العاشر من محرم سنة ١٣٥٠ هـ/ ٢٩ مايو ١٩٣١ م ودفن في مقبرة العود^(١٨٨) التي دفن فيها الملك عبد العزيز يرحمه الله بعد ذلك .

وكان ابن عذل قد تزوج من ثلاث زوجات أولاهن رقية بنت علي الجاسر الحريش وهي أم أبنائه حمود ودرهوم وناصر ، والزوجة الثانية والدة ابنه عبد الرحمن وهي موضي بنت الشيخ صالح ابن الشيخ قرناس القرناس قاضي القصيم الشهير، أما زوجته الثالثة والدة ابنه محمد فهي حصة بنت عبد المحسن بن بتال^(١٨٩) .

وبعد وفاة ابن عذل أبدى الملك اهتماماً كبيراً في أسرته وأبنائه ، واستمر في صرف عوائدهم ؛ يقول محمد بن صالح العذل : «.. بعد وفاة والدي انتقل المقرر الذي كان يأخذه من الملك عبد العزيز إلينا بالإضافة إلى مقرر خاص بوالدي ، وأصبح لنا كل شهر كيساً من الأرز وقلتان من التمر وصاعان من القهوة ومثلهما من السكر وثلاثون ريالاً (بدل لحم) بالإضافة إلى مائتي صاع من البر سنوياً وكانت تلك العوائد تأتي من بيت المال وتسمى [ميانه] ...»^(١٩٠) .

وهذا الوفاء ليس بغريب على الملك عبد العزيز الذي عرف بإكرامه للرجال الأوفياء العاملين معه، فتمكن بفضل الله ثم بحكمته وإخلاصهم من بناء وطن شامخ خلال فترة زمنية وجيزة .

خاتمة

عبر مايزيد على ربع قرن (١٣٢٤-١٣٥٠هـ/١٩٠٦-١٩٣١م) قدم صالح باشا العذل خدمات جليلة أسهم من خلالها في بناء الوطن ، وكان لإسهاماته السياسة والإدارية والعسكرية أثرٌ كبير في دعم مسيرة البناء التي تحمل أعباء النهوض بها الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود والذي كان له الدور الأبرز في اختيار الرجال وتكليفهم بالمهام المتعددة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب وهي مزية اختص بها عن غيره ؛ بجانب الثقة التي كان يوليها لرجاله ومنهم ابن عدل والتي كانت هي الوقود الذي يستمدون منه نشاطهم ، وعلى الرغم من التجربة السابقة لابن عدل في حياته الأولى والتي كان يعمل خلالها بجانب ابن رشيد إلا أن ما لمسه من وفاء ومعاملة مثالية من قبل الملك عبد العزيز قد جعله يدرك الفارق الكبير والشاسع بين المرحلتين ، فبذل الرجل ما يستطيع إحساساً بالمسؤولية وأداءً للواجب ، ومن الملاحظ أن الأعمال التي قام بها ابن عدل قد خرجت عن النطاق المحلي ؛ إذ إنه أول مبعوث رسمي للملك عبد العزيز إلى خارج الجزيرة العربية وأول ممثل دبلوماسي له وذلك حين كلفه بلقاء السلطان عبد الحميد الثاني وبقي في ضيافته ، فأعجب السلطان بمواهبه ومنحه لقب (الباشا) فأصبح من أوائل الحاصلين على اللقب في عصره من أبناء الجزيرة العربية ، وإذا كانت إمارة الزكاة مهمة لا تقتصر عليه بل يشاركه فيها آخرون إلا أن ابن عدل اكتسب من خلالها أهمية وشهرة كبيرتين لما تميز به من جرأة وجسارة أدت لاحتكاكه بالسلطات البريطانية في العراق ؛ بل إننا لا نبالغ إن قلنا إن دخوله الأراضي العراقية وتحصيل زكاة قبائلها قد أثار أكبر قوة استعمارية آنذاك ، ويتضح هذا من خلال البرقيات والمذكرات والرسائل السرية التي تبادلها الساسة البريطانيون بخصوص تلك الخطوة من ابن عدل. وعلى النطاق المحلي ونطاق الجزيرة العربية وخلال الأزمات التي أحاطت بالملك عبد العزيز إبان تكالب الأعداء كان في جهود ابن عدل الدبلوماسية المخرج المناسب لترتيب أولويات مصادمة القوى المناوئة ، وإذا كان كثير من الرجال قد عملوا مع الملك عبد العزيز وأخلصوا له فإن مما ميز ابن عدل تلك الشفافية التي يتعامل بها مع الملك كما تبين

من الرسائل المتبادلة بينهما فكان بمثابة الناصح الأمين الذي لا يجامل إلا فيما يقتضيه الموقف دون أن تكون مجاملته على حساب مصلحة البلاد والعباد وهذه المشاعر من ابن عذل نراها تنعكس في خطابات الملك التي يبين فيها مدى ثقته المطلقة بابن عذل كما أنها تتمثل في تلك العلاقة الخاصة التي جمعتها بالملك فأصبح جلسه الرسمي والخاص وزاد من قوة تلك العلاقة القرابة الأسرية مع الملك والتي ظلت ماثلة أيضاً في ذرية ابن عذل من بعده .

ولعل من الواضح للمتأمل فيما سبق من سيرة ابن عذل أن العلاقة بينه وبين الملك عبد العزيز تمثل أنموذجاً يحتذى للعلاقة بين الحاكم ورجاله المخلصين؛ فلا عجب إذاً أن يتمكن الملك عبدالعزيز بمثل هؤلاء الرجال من بناء وطن كبير مترامي الأطراف خلال ثلاثة عقود من السنوات وهي مدة لا تقاس في عمر الدول .

الهوامش

(١) محمد بن عبد الله المزيد : شجرة العميل والعدل ، الرياض ، ١٤١٧ هـ . فهد بن منيع الرشيد : الرس بين ماضيها وحاضرها . الرياض : مطبعة سفير ، ١٤٢ / ٢٠٠٠ م ص ٣٨ / ١٦٦ . وقد ورد في بعض المصادر أن والد عدل هو ناصر بن جاسر : إبراهيم بن ضويان : تاريخ بن ضويان (مخطوط بخط منصور الرشيد سنة ١٣٧٨ هـ) نسخة متداولة ورقة ٢٦ ، ومن المرجح أن ذلك خطأ وقع فيه الناسخ خاصة أن اسم ناصر وضع ملحقا فوق السطر الأصلي . وعلي ابن هشام هو جد العجمان ولقب بعجم لعجمة في لسانه ، والعجمان من ذرية مذكر بن يام بن أصبا بن رافع بن مالك بن خشن بن خير بن نوف بن همدان من ذرية زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب من قحطان . وقد انتقل العجمان من موطن يام الأصلي في نجران ، إلى نجد والاحساء وانتقل محمد بن علي بن راشد الملقب بأبي الحصين إلى عنيزة ثم إلى الرس واشتراها من آل صقيه من تميم حوالي سنة ٩٧٠ هـ فاستقر بها منذ ذلك الحين :

وثيقة تاريخية بخط المؤرخ ابراهيم بن عيسى حول تأسيس الرس وعمرانها . نسخة لدى الباحث ، وللمزيد عن تاريخ العجمان انظر : عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد . تحقيق عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ . الرياض : وزارة المعارف ١٣٩٤ هـ ، ٢ / ٤٥ . حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد . ط ٢ ، الرياض : دار اليمامة ١٤٠٩ هـ ٢ / ٥٢٢ - ٥٢٤

(٢) عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبد العزيز . الرياض : مطابع الحرس الوطني ، ١٤٠٨ ، ٤١٨ / ١ .

(٣) لقاء مع الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل حفيد صالح العدل . الخميس ٢٠ / ٦ / ١٤٢٣ هـ

(٤) وثائق الرس : وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل وخالته بنا بنت منصور العساف . غير مؤرخة .

- وصية بنا بنت منصور العساف خالة محسن العدل ، ١٢٥٩ .

- لقاء مع الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل الخميس ٢٠ / ٦ / ١٤٢٣ هـ

(٥) والدة محسن هي ميثا بنت منصور العساف : وثائق الرس : وثيقة مبايعة بين ميثا بنت منصور العساف وابنها محسن ١٢٧٦ هـ . وثائق الرس : وثيقة مبايعة بنا بنت منصور العساف وابنتها رقية آل أباحصين ١٢٣٣ هـ .

- عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ١ / ٢٥٧ - ٢٥٨ ،

(٦) وثائق الرس : مبايعة زراعية بين محسن بن عدل وسليمان آل عايد بمبلغ ٢٥٠ ريال فرانسى ، كتبت سنة ١٢٧٦ هـ .

- مبايعة زراعية بين سليمان آل عايد وكل من محسن بن عدل ووالدته ميثا بنت منصور العساف ٢٧٦هـ.

- وثيقة مبايعة عقارية بين الشيخ صالح بن قرناس ومحسن بن عدل، ١٣١٦هـ.

(٧) وثائق الرس: مبايعة زراعية بين محسن بن عدل وسليمان آل عايد بمبلغ ٢٥٠ ريال فرانسى، كتبت سنة ١٢٧٦هـ.

- مبايعة زراعية بين محسن بن عدل وصالح العواجى وسليمان بن هندي، ١٢٧٦هـ.

(٨) وثائق الرس: هبة زراعية من شارخ العليان لمحسن بن عدل، ١٢٨٣هـ.

(٩) العقيلات مجموعة قوافل تجارية نجدية كانت تعمل على التبادل التجاري داخل الجزيرة العربية وخارجها وللمزيد عن نشاط العقيلات انظر: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ط ٣، الرياض، دار الأصاله، ١٤١٣ / ١٩٩٣ م، ص ٢١٣ - ٢١٩ وكذلك ابراهيم المسلم: العقيلات ط ٢، الرياض: مكتبة العقيلات، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ ص ٤٩ - ١٥.

(١٠) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣هـ.

(١١) حسين بن عساف بن سيف بن منصور العساف أحد أبرز أمراء الرس عبر تاريخها وقد تولى الإمارة للمرة الأولى سنة ١٣٠٨ من قبل محمد بن عبد الله بن رشيد على حساب الأمير السابق صالح بن عبد العزيز الرشيد، ثم تعددت إمارته للرس لأكثر من مرة حتى عينه الملك عبد العزيز أميراً فيها سنة ١٣٢٤هـ وظل فيها حتى تقاعده سنة ١٣٣٧هـ وكانت وفاته سنة ١٣٥٤هـ. انظر: ابراهيم القاضي تاريخ ابراهيم القاضي (مخطوط). ورقة ٣، ١٣، ٢٠. فهد الرشيد: المرجع السابق ص ٨٩.

(١٢) البروة تحويل مالي سنوي على أحد العمال يصرف مرة واحدة بموجب سند رسمي. عبد الرحمن السبيت وآخرون: من وثائق الملك عبد العزيز ج ٢ الرياض: الحرس الوطني، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ ص ٥١٠.

وكان أمير الرس خلال تلك الفترة صالح بن عبد العزيز الرشيد من العجمان أهالي الرس. انظر: ابراهيم القاضي: المصدر السابق، ورقة ٣.

(١٣) جريدة عكاظ س ٣٩، ع ١١٥٢٢، الاثنين ١١ ذو العقدة ١٤١٨هـ، ٩ مارس ١٩٩٨ م ص ١٦ - ١٧.

لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله.

- لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣هـ.

(١٤) لقاء مع الشيخ حسين بن عبد الرحمن العذل ، الخميس ٢٠/٦/ ١٤٢٣

(١٥) ابراهيم القاضي : المصدر السابق ، ورقة ٣ ،

(١٦) وثائق الرس : توكيل محسن بن عذل ابنه صالح على بعض الأملاك الزراعية في الرس ، ٢٧ رجب ١٣١١هـ .

(١٧) إبراهيم القاضي : نفس المصدر ، ورقة ١٣-٢٠ .

(١٨) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨/٨/ ١٤٢٣هـ .

- جريدة عكاظ الاثنين ١١/١١/ ١٤١٨هـ : لقاء مع معالي الاستاذ محمد صالح العذل رحمه الله . ويذكر إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ج ١ ، القاهرة : الدار الفنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣م/ ص ١٣١ أن أهالي الرس بعثوا صالح العذل لمفاوضة الملك عبد العزيز الذي كان معسكراً في الشنافة والتنسيق معه لدخول الرس . غير أن الواقع التاريخي لا يؤيد هذه الرواية لأن الملك عبد العزيز لم يقيم معسكره في الشنافة بل إن خصمه عبد العزيز بن متعب بن رشيد هو الذي اتخذ من الشنافة مقراً له ، كما أن الرس كانت مقراً للسرية التي أرسلها الملك عبد العزيز بقيادة الأمير محمد بن عبد الرحمن قبيل وصول ابن رشيد للشنافة مما يعني أن الاتصالات كانت متاحة بين الملك عبد العزيز وأهالي الرس منذ فرار أميرها حسين بن عساف منها عقب معركة البكيرية : ابراهيم القاضي : المصدر السابق ، ورقة ٢٠ . وحاصل القول أن بن عذل لم يلتق الملك عبد العزيز إلا سنة ١٣٢٤هـ بعد معركة روضة مهنا التي شهدت نهاية ابن رشيد كما سيأتي في أحداث تلك السنة .

(١٩) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨/٨/ ١٤٢٣هـ .

(٢٠) إبراهيم القاضي : المصدر السابق ورقة ٢٠ . أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث ، ط ٦ ، بيروت : دار الجليل ، ١٩٨٨م ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود . الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨٠ / ١٩٦١م ص ٧٦ .

(٢١) إبراهيم القاضي : المصدر السابق ، ورقة ٢٢ ، عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبد العزيز ٤١٨/١ .

(٢٢) جريدة عكاظ الاثنين ١١/١١/ ١٤١٨هـ : لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله .

(٢٣) ابراهيم المسلم : رجال من القصيم ١/ ١٣٣ .

(٢٤) لقاء مع الشيخ حسين بن عبد الرحمن العذل الخميس ٢٠/٦/ ١٤٢٣هـ .

(٢٥) وقد بقي حسين في الإمارة حتى سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م . فهد الرشيد : المرجع السابق ص ٨٩

(٢٦) جريدة عكاظ الاثنين ١١/١١/١٤١٨ هـ: لقاء مع معالي الاستاذ محمد صالح العذل رحمه الله.

(٢٧) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ.

(٢٨) وثائق الرس: استتجار صالح بن عذل لبعض العقار في الرس بخط الشيخ ابراهيم بن ضويان، ٤ شوال ١٣٣٠ هـ.

(٢٩) ولد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٢٥٨ هـ وتولى الحكم في الدولة العثمانية سنة ١٢٩٣ هـ وقد شهد عهده ضغوطاً أوروبية على الدولة العثمانية للأخذ بالاصلاحيات الحديثة فحاول السلطان عبد الحميد تقوية الرابطة بين الشعوب الإسلامية عبر ما يسمى الجامعة الإسلامية في محاولة لمواجهة المطامع الأوروبية؛ ولعل هذا يفسر سعيه للتقارب مع بعض الأمراء العرب ومنهم الملك عبدالعزيز، وفي سنة ١٣٢٧ هـ قامت جماعة تركيا الفتاة بخلعه ووضعته تحت الحراسة حتى وفاته سنة ١٣٣٦ هـ وكان من أبرز السلاطين في العصر العثماني المتأخر. انظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت: دار الجيل، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، ص ٤١٣، ابراهيم بك حليم: التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية. ط ١، بيروت. مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م، ص ٣٥٩-٣٦.

(٣٠) أمين الريحاني: المصدر السابق / ص ١٦٠ - ١٦٢. إبراهيم المسلم: رجال من القصيم، ١٣٢/١ ورغم أن المسلم يذكر أن ذلك حدث سنة ١٣٢٢ هـ إلا أن ماتوكده المصادر المعاصرة بما فيها الريحاني أن تلك المفاوضات كانت سنة ١٣٢٤ هـ بعد روضة منها.

(٣١) أمين الريحاني: المصدر السابق. ص ١٦٢-١٦٣

(٣٢) خالد الفرج: الخبر والعيان في تاريخ نجد. تحقيق عبد الرحمن الشقير. ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م ص ٤٠٠.

(٣٣) إبراهيم القاضي: المصدر السابق، من ورقة ٢٥.

(٣٤) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ١٦٣، ويذكر خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز. ج ١، ط ٣ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥ م ص ١٧٥ أن إرسال الوفد العثماني للرياض كان في ذي القعدة ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م بينما يشير فليبي إلى أن قدوم الوفد الرياض كان سنة ١٩٠٧ م بداية سنة ١٣٢٥ هـ:

ARABIA.BEIRUT: lebanon bookshop-1968. p.251 H.ST.JOHN: SAUDI PHIL BY

والمرجح أن إرسال الوفد كان فيما بين نهاية ذي القعدة وبداية ذي الحجة من عام ١٣٢٤ هـ إذ أن

مغادرة صالح ابن عدل إلى العاصمة العثمانية كانت كما سيأتي في ذي الحجة عام ١٣٢٤ هـ ولا يمكن أن يكون ذلك قبل قدوم الوفد العثماني للرياض لأن مجيء هذا الوفد كان بغرض طلب إرسال وفد من الرياض إلى الأستانة .

(٣٥) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ٢ . ط ١ الرياض مكتبة العبيكان ١٤١٦ هـ ، ص ١١٠ .

(٣٦) الإرشيف العثماني في استانبول قصر يلدز : دائرة الكتابة العالية : وثيقة : ٤٣٣١ قرار عثمانى بمنح ابن سعود وسام الدولة العثمانية وتكريم صالح العدل ومرافقيه ١٧ رجب ١٣٢٥ هـ .

- لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

(٣٧) أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ . عبد الرحمن ناصر : عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد . (مخطوط) . دار الملك عبد العزيز . رقم ١٢ الدفتر الأول ورقة ٨٧ ، خير الدين الزركلي : المصدر السابق ١/ ١٧٥ ، ويشير إبراهيم المسلم ، رجال من القصيم ١/ ١٣٣ إلى أن مغادرة ابن عدل كانت في ذي القعدة من تلك السنة ، بينما يفهم من كلام فليبي philby:op.p251 أن ذلك كان سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م . غير أن المرجح أن ذلك كان في نهاية شهر ذي الحجة من سنة ١٣٢٤ هـ وهو ما يتفق مع تحديدنا لموعد مجيء الوفد العثماني للرياض والذي يطلب إرسال الوفد إلى استانبول وذلك بعد حوالي شهرين من رحيل أو بدء رحيل القوات العثمانية من القصيم . انظر حاشية ٤ ص ١١ من البحث .

(٣٨) لقاء مسجل مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

(٣٩) الإرشيف العثماني في استانبول : قصر يلدز ، دائرة الكتابة العالية وثيقة ٤٣٣١ .

(٤٠) الإرشيف العثماني في استانبول : قصر يلدز ، دائرة الكتابة العالية : وثيقة : ٥٠٩٢ قرار عثمانى بمنح صالح العدل مبلغ مالي بموجب قدومه إلى الأستانة ، ١٥ شعبان ١٣٢٥ هـ .

(٤١) الإرشيف العثماني في استانبول : قصر يلدز ، دائرة الكتابة العالية ، وثيقة ٤٣٣١ ، ١٧ رجب ١٣٢٥ هـ .

(٤٢) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ، ٢٠٢ - ، ٢٠٣ .

(٤٣) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

(٤٤) إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١/ ١٣٤ .

ويذكر الزركلي : المصدر السابق ، ١/ ١٧٥ ، أن ابن عدل قال : دخلت للقاء السلطان عبر أبواب كثيرة وأشرت إليه بالسلام من بعد ثم خرجت من عنده . وهذا القول لا يتفق مع ما بيته الوثائق العثمانية من اهتمام السلطان عبد الحميد بصالح بن عدل وبقيّة الوفد وما حمله من أخبار

ومشاعر طيبة من الملك عبد العزيز حتى أن السلطان قدم المنح والهدايا لأعضاء الوفد، كما أن تلك الرواية لا تتفق مع الإجراءات السياسية المتعارف عليها.

(٤٥) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٦٣

(٤٦) الإرشيف العثماني: يلدز متفرقة: المعروضات والاخباريات: (Y.PRK.AZJ52/75) رسالة من عبد العزيز آل سعود إلى معتمده في العاصمة العثمانية صالح بن عذل، أواخر جماديا الأولى ١٣٢٥ هـ (٨ حزيران ١٣٢٣ رومي).

(٤٧) الإرشيف العثماني: قصر يلدز : دائرة الكتابة العالية. وثيقة: ٤٣٣١ قرار عثمانى بمنح ابن سعود وسام الدولة العثمانية وتكريم صالح العذل ومرافقيه، ١٧ رجب ١٣٢٥ هـ.

(٤٨) الإرشيف العثماني في اسطنبول : قصر يلدز : دائرة الكتابة العالية: وثيقة ٥٠٩٢ ، قرار سلطاني بمنح ابن عذل مبلغ مالي ، ١٥ شعبان ١٣٢٥ هـ.

(٤٩) باشا كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية (بادشاه) وتدل على أعلى الألقاب الرسمية في الدولة العثمانية انظر : الموسوعة العربية الميسرة ج ١ بيروت دار نهضة لبنان ، ١٤١٧ هـ ص ٣١٢ . ويلاحظ أن الملك عبد العزيز وصف من قبل العثمانيين في الوثيقة السابقة بالباشا، ومن المرجح أن منحة اللقب قد جاء على إثر ما أبداه من مشاعر الود تجاه الدولة العثمانية عبر رسائله التي حملها ابن عذل في رحلته إلى العاصمة العثمانية والتي جاءت كأول اتصال رسمي ودي بين الجانبين، كما مُنح الملك عبد العزيز من قبل العثمانيين أيضاً رتبة المشيرية العسكرية سنة ١٣٣٢ هـ. مقبل الذكير : تاريخ مقبل الذكير (مخطوط) . مكة المكرمة : مكتبة الحرم الشريف ، رقم ٩٩ الدفتر الثالث ورقة ٣٣ .

(٤٥) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة من متصرف الأحساء إلى الملك عبد العزيز حول تحرك صالح باشا العذل من الأحساء إلى نجد ١٣ ذي العقدة ١٣٢٧ هـ .

(٤٦) جريدة عكاظ س ٣٩ ع ١١٥٢٢ الاثنين ١١/١١/١٤٠٨ هـ ص ١٦ - ١٧ . لقاء مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله .

- لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

(٤٧) إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١/١٣٤ وكان حاكم جبل شمر آنذاك على الأرجح سعود ابن حمود بن عبيد ابن رشيد : أمين الريحاني : المصدر السابق ص ٢٩٦ . ورشيد الناصر بن ليلي كان وكيل ابن رشيد لدى السلطان العثماني لمدة سبع سنوات، وقد منحه السلطان لقب الباشا وبعد نهاية حكم آل رشيد في جبل شمر نجح الملك عبد العزيز باستمالاته ، ثم عينه عضواً في مجلس الشورى وبعد ذلك وكيلاً له في دمشق ، فهد المارك : من شيم الملك عبد العزيز ج ١ ط ٢

د / م / ن ، ١٤٠٠ هـ ، ص ١٢٦ - ١٦٣ - ١٦٦

(٤٨) الإرشيف العثماني في استنبول: قصر يلدز : دائرة الكتابة العالية وثيقة ٥٠٩٢ ، ١٥ شعبان ١٣٢٥ هـ.

(٤٩) الإرشيف العثماني في استنبول : نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة (١٧-٥/١ . DH.MUI). رسالة من متصرف الاحساء إلى والي البصرة حول رغبة ابن سعود بسحب ابن عدل ممثله في الاحساء ، شعبان ١٣٢٧ هـ.

(٥٠) وهذا ما يؤكد نجده محمد في لقاء موثق : لقاء مسجل مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

(٥١) الإرشيف العثماني : يلدز متفرقة : المعروضات والاخباريات . (Y.PRK.AZJ.52/75) رسالة من الملك عبد العزيز إلى معتمده في العاصمة العثمانية صالح بن عدل ، أواخر جمادى الثانية ١٣٢٥ هـ (١٨ حزيران ١٣٢٣ رومي) .

(٥٢) مقبل الذكر : المصدر السابق ٣ / ٣٢ .

(٥٣) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من متصرف الاحساء إلى الملك عبد العزيز حول تحرك صالح العذل من الأحساء إلى نجد ، ١٣ ذي العقدة ١٣٢٧ هـ .

- جريدة عكاظ س ٣٩ ع ١١٥٢٢ الاثنين ١١ / ١١ / ١٤٠٨ هـ ١٧ . لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله .

(٥٤) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٥٥) أمين الريحاني : نفس المصدر ، ص ١٦٤ ، وقد أورد الزركلي : المصدر السابق ١ / ١٧٥ رواية مشابهة مفادها أن ابن عدل سئل ما أحسن ما لقيت في استنبول ؟ فقال : يوم تلقيت الأمر بالخروج منها " وهي عبارة مستقاة مما أورده صاحب الرواية الأصلية الريحاني .

(٥٦) عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبد العزيز ١ / ٤١٨ .

- لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

(٥٧) كان الملك عبد العزيز قد أرسل محمد بن حسين بن معشوق للأحساء سنة ١٢٢٦ هـ قبل ابن عدل إلا أنه لم يمكث طويلاً بعد احتجاج السلطات العثمانية على تصرفاته المتمثلة في التدخل بين القبائل في الأحساء والقيام باحتجاز بعض المخالفين لأوامره حيث اعتبرت تلك التصرفات تدخلاً في شؤونها فطلب والي البصرة من الملك عبد العزيز استبداله بآخر ، وحين رشح ابن عدل لهذه المهمة رحب الوالي بهذا مما يدل على ثقة العثمانيين بابن عدل .

ومحمد بن معشوق أحد الذين أسهموا في استعادة الرياض مع الملك عبد العزيز عام ١٣١٩ هـ، وقد كلف بمهام عدة وكان أحد عمال الزكاة ورئيساً لقلعة صاهود في الأحساء بعد استردادها، توفي عام ١٣٦٠ هـ، انظر: الرواد. - داره الملك عبد العزيز ١٤١٩ هـ، ص ٦٨.

- الإرشيف العثماني نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة : (DH.MUI. 17-5/1).

- رسالة من متصرف الاحساء إلى والي البصرة حول رغبة ابن سعود سحب ممثله ابن عدل من الاحساء حوالي شعبان ١٣٢٧ هـ.

- مذكرة من الصدر الأعظم الى نظارة الداخلية بشأن مغادرة ابن عدل للأحساء ٢٠ ذو الحجة ١٣٢٧ هـ.

(٥٨) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من متصرف الأحساء الى الملك عبد العزيز حول عودة ابن عدل من الأحساء ١٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ.

- الارشيف العثماني نظارة الداخلية دائرة المخابرات العامة : (DH.MUI. 17-5/1).

- رسالة من والي البصرة إلى نظارة الداخلية حول رغبة ابن سعود بسحب ممثله ابن عدل من الاحساء ١٥ شوال ١٣٢٧ هـ.

- مذكرة الصدر الأعظم بشأن رغبة ابن سعود بسحب ممثله ابن عدل من الاحساء، ١٠ محرم ١٣٢٧ هـ.

- رسالة من متصرف الأحساء إلى والي البصرة بشأن رغبة ابن سعود سحب ابن عدل شعبان ١٣٢٧ هـ.

(٥٩) نفس المصدر .

(٦٠) نفس المصدر .

(٦١) نفسه.

(٦٢) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من متصرف الأحساء الى الملك عبد العزيز حول مغادرة ابن عدل الأحساء إلى نجد، ١٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ.

(٦٣) الإرشيف العثماني : نظارة الداخلية ، دائرة المخابرات العامة. (DH.MUI. 17-5/1) رسالة من متصرف الاحساء الى والي البصرة حول رغبة ابن سعود سحب ممثله ابن عدل شعبان ١٣٢٧ هـ.

(٦٤) نفس المصدر.

(٦٥) الإرشيف العثماني : نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة (DH.MUI.17-5/1) رسالة من والي البصرة إلى نظارة الداخلية حول رغبة ابن سعود سحب ممثله ابن عدل من الأحساء، ١٥

شوال ١٣٢٧ هـ.

(٦٦) الإرشيف العثماني : نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة : (١٧-١/٥) (DH.MUI) مذكرة من الصدر الأعظم إلى نظارة الداخلية بشأن سحب ابن عدل من الأحساء ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ.
(٦٧) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من متصرف الأحساء إلى الملك عبدالعزيز حول مغادرة ابن عدل للأحساء ١٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ .

(٦٨) الإرشيف العثماني : نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة : (١٧-١/٥) (DH.MUI) مذكرة من نظارة الداخلية للصدر الأعظم حول مغادرة ابن عدل الأحساء ، ١٠ محرم ١٣٢٨ هـ.
(٦٩) إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١ / ١٣٦ .

(٧٠) لقاء مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .
(٧١) الإرشيف العثماني : نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة : (١٧-١/٥) (DH.MUI) مذكرة من الصدر الأعظم إلى نظارة الداخلية بشأن رغبة ابن سعود سحب ابن عدل من الأحساء ، ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ.

(٧٢) أمين الريحاني : المصدر السابق ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ١٨٤ ، مقبل الذكير : المصدر السابق ٣ / ٧ . ويذكر إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١ / ١٣٥ أن الشريف حسين وجد في شخص زامل بن سبهان وكيل إمارة جبل شمر وسيلة لتحقيق مطالبه أذ كان زامل على استعداد تام للتعاون معه .

(٧٤) مقبل الذكير : المصدر السابق ٣ / ٧ ، أمين الريحاني المصدر السابق ، ص ١٨٤ . ويذكر معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله أن صالح بن عدل أشار على الملك بهذا الرأي قائلاً " أصلح مع الشريف وابن رشيد وعليك بالعرايف " لأنهم في قلب الحدث وهم الأهم . فقال له الملك مالها إلا أنت يا صالح " فانتدبه في تلك المهمة . لقاء مسجل مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

(٧٥) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، ٢٨٧ - ٢٩٣ . مقبل الذكير : المصدر السابق . ٣ / ٨ .

(٧٦) لقاء مسجل مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

مقبل الذكير : المصدر السابق ، ٣ / ٨ . إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١ / ١٣٥ .

(٧٧) محمد العلي العبيد : النجم اللامع للنوادر جامع . (مخطوط) فرغ المؤلف منه في جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ .

نسخة متداولة . ورقة ١٦٣ .

(٧٨) مقبل الذكر : المصدر السابق ٣ / ٨ .

(٧٩) عبدالله العثيمين : المرجع السابق ٢ / ١٢٨ - ١٣٠ . ويذكر محمد العلي العبيد : المصدر السابق ، ١٦٢ - ١٦٤ أن مفاوضات الصلح بين الطرفين بدأت بعد أن تحرك الشريف بحملته على نجد معتمداً على دعم ابن رشيد الذي تراجع إلى بلاده بعد نجاح مفاوضات الصلح مع ابن عدل .

(٨٠) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٩٥ - ١٩٦ .

(٨١) وقد عمل الشريف حسين أيضاً على دعم راشد الهزاني الذي لجأ إلى الحجاز منذ فشل ثورته في الحريق السنة الماضية وعفو الملك عنه ، كما قام بمساندة العرايف لمحاربة الملك عبد العزيز أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ، عبد الله العثيمين : المرجع السابق ٢ / ١٣١ .

(٨٢) مقبل الذكر : المصدر السابق ٣ / ١٧ ، ٢١ .

(٨٣) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ، إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن : تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان ، ج ٢ ط ١ الرياض : مطابع مؤسسة الأنوار د . ت . ن ، ص ١٣٩ ويشير المؤلف إلى أن تاريخ الرسالة كان في ٢٢ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ .

(٨٤) مقبل الذكر : المصدر السابق : ٢٢ / ٣ بينما يذكر محمد العبيد : المصدر السابق ورقة ١٧١ أن عدد الإبل عشرًا وليست أربعًا ، وقد أشار إبراهيم القاضي : المصدر السابق ورقة ٤٠ إلى أن إرسال ابن عدل للحجاز لم يكن متزامناً مع خروج الملك عبد العزيز لتأديب عتيبة وإنما كان بعد إنهائه لهذه المهمة وعودته للرياض ، ولكن هذا لا يستقيم مع تتابع الأحداث حيث إن أخبار ذلك الهجوم على عتيبة وصلت للشريف بعد أربعة أيام فقط من وصول ابن عدل إلى مكة مما يعني تزامن الحدثين .

(٨٥) مقبل الذكر : المصدر السابق ، ٢٢ / ٣

(٨٦) محمد العلي العبيد : المصدر السابق ورقة ١٧٢

- لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

(٨٧) إبراهيم المسلم : رجال من القصيم / ١ / ١٣٦

(٨٨) مقبل الذكر : المصدر السابق ٢٢ / ٣

(٨٩) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ .

(٩٠) إبراهيم المسلم : رجال من القصيم ١ / ١٣٦ ، غير أن غضب الشريف على ابن عدل بالصورة

المذكورة أمر مستبعد خاصة أن ابن عدل نفسه عاد ليكون رسول الملك عبد العزيز مجدداً للشريف بعد أقل من أربع سنوات من ذلك الحدث ، ولو كان هناك تهديد لحياة ابن عدل في الحجاز لما زج به الملك عبد العزيز في هذه المهمة من جديد .

(٩١) وثائق الرس: وثيقة استئجار صالح بن عدل بعض العقار في الرس بخط الشيخ ابراهيم بن ضويان ، ٤ شوال ١٣٣٠ هـ .

(٩٢) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من صالح العدل إلى الملك عبد العزيز ٥ محرم ١٣٣٣ هـ . وتشير وثيقة أخرى إلى أن الشريف عبد الله كان في الشام في مهام سياسية، ويرجع أن تلك المهام تتعلق بالتخطيط للثورة ضد الحكم العثماني الذي كان يتم بشكل سري خلافاً لمجريات العلاقة بين الشريف حسين والدولة العثمانية . مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من الشريف عبد الله بن الحسين إلى الملك عبد العزيز ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ .

(٩٣) فهد المارك : المصدر السابق ١/ ١٦٢-١٦٣ .

(٩٤) عبد الله العثيمين : المرجع السابق ٢/ ١٤٦-١٤٧ .

(٩٥) مقبل الذكر : المصدر السابق ٣/ ٣٢ ، ٤٠ . ويضيف الذكر أن الدولة العثمانية كانت تحاول الدخول في مفاوضات مع الملك عبد العزيز لاستمالاته إلى جانبها حيث سبق أن أرسلت عبد اللطيف المنديل أحد النجدين المقيمين في العراق للتوسط في الأمر ، كما يشير أيضاً إلى أن المبلغ الذي حمله ابن عدل أراح الملك عبد العزيز من فكرة كان يتحاشاها وهي فرض ضريبة على أهالي القصيم للخروج من تلك الأزمة .

ولم تحدد المصادر اسم الوالي العثماني في المدينة المنورة غير أن الفترة من ١٣٣٠ هـ إلى ١٣٣٤ هـ شهدت تعيين أربعة من الولاة هم : رضا باشا الركابي ثم سعد باشا تلاه بصري باشا وأخيراً فخري باشا ، عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة . ج ٣ ، ط ١ ، د . م . ن ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٨-٣٩ .

(٩٦) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، ابراهيم آل عبد المحسن : المصدر السابق ٢/ ١٩٨-١٩٩ .

(٩٧) مقبل الذكر : المصدر السابق ، ٣/ ٤٨-٤٩ .

(٩٨) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من الشريف عبد الله بن الحسين للملك عبد العزيز ، ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ .

(٩٩) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من الشريف شاكر بن زيد للملك عبد العزيز ، ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ .

(١٠٠) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة من الشريف عبد الله بن الحسين الى الملك عبد العزيز، ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ.

(١٠١) مقبل الذكر: المصدر السابق، ٤٩/٣.

(١٠٢) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(١٠٣) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة الشريف عبد الله بن الحسين الى الملك عبد العزيز، ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ.

(١٠٤) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة من الشريف شاكر بن زيد إلى الملك عبد العزيز، ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٤ هـ.

(١٠٥) مجموعة وثائق ابن عذل: إفادات شفاهية لصالح بن عذل من قبل حكومة الحجاز، د. ت.

(١٠٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(١٠٧) عبد الله العثيمين: المرجع السابق ١٩٨/٢.

(١٠٨) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ.

(١٠٩) عبد الرحمن السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ١ الرياض: الحرس الوطني ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ ص ٢٢.

(١١٠) عبد الرحمن بن ناصر: المصدر السابق ١/ ٢٢٦، دار الملك عبد العزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية الرياض: ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م / ص ٢٠١.

(١١١) عبد اللطيف بن محمد الحميد: إبراهيم النشمي حياته وأعماله: ط ١ الرياض: شركة مطابع نجد، ١٤٢٣ هـ ص ١٢-١٣، كما وجه الملك عبد العزيز كلا من فيصل الدويش وعبد المحسن الفرع باتباعهما لحصار المدينة: عبد الله العثيمين: المرجع السابق ١٩٨/٢، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ٢٠٢.

(١١٢) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة من الملك عبد العزيز إلى إبراهيم النشمي يطلب منه الانضمام لابن عذل في حصار المدينة، ٥ ربيع الآخر ١٣٤٣ هـ.

(١١٣) رسالة من الملك عبد العزيز إلى إبراهيم النشمي بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ نقلا: عن عبد اللطيف الحميد: المرجع السابق، ص ١٥، وقد ذكر محمد بن إبراهيم النشمي أن صالح العذل قد أعيد من الحناكية إلى الرياض لتنتهي مهمته في حصار المدينة المنورة عند هذا الحد وليحل إبراهيم النشمي محله في السير بالقوات لحصار المدينة. عبد الرحمن السبيت وآخرون: رجال وذكريات، ٢/ ٢٢، ولا شك أن ما ورد في هذه الرسالة ينفي هذا القول وهو ماتنفية أيضاً.

الوثائق الأخرى المتعلقة بحصار المدينة المنورة والتباعدة بين الملك عبد العزيز وكل من ابن عدل والنشمي كما سيأتي.

(١١٤) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٤١٣ . عبد الرحمن بن ناصر : المصدر السابق ٢٢٦/١

(١١٥) محمد ابراهيم رحمو : أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز . ط ٢ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٥١

(١١٦) رغم هذا الحرص من الملك عبد العزيز إلا أن الشائعات الكاذبة التي كان مصدرها الشريف ومن معه سرعان ما انتشرت حول قيام فرق الإخوان في جيش الملك بارتكاب أعمال العنف وهدم القبة النبوية وأخذ نفائسها ، خالد الفرج : المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .

(١١٧) عبد الباسط بدر : المرجع السابق ٣/ ١٤٤ - ١٤٥ . عبد اللطيف الحميد : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(١١٨) جريدة ام القرى الأسبوعية ، العدد ١٨ ، ٢٢ رمضان ١٣٤٣ هـ ص ٢ .

(١١٩) إبراهيم القاضي : المصدر السابق ، ورقة ٦١ .

(١٢٠) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل ، ١١ رجب ١٣٤٣ هـ .

(١٢١) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل د. ت .

(١٢٢) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل ، ٢٩ رجب ١٣٤٣ هـ .

(١٢٣) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز الى صالح العذل ١٨ شعبان ١٣٤٣ هـ .

(١٢٤) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى سعد الخويفي للتعاون مع ابن عدل ، ١٩ شعبان ١٣٤٣ هـ .

(١٢٥) جريدة أم القرى الأسبوعية ، ع ١٨ ، ٢٢ رمضان ١٣٤٣ هـ .

(١٢٦) رسالة الملك عبد العزيز إلى ابراهيم النشمي ، ١٨ شوال ١٣٤٣ هـ نقلاً عن: عبد اللطيف الحميد : المرجع السابق ، ص ١٧ . وبذلك تصبح مدة حصار ابن عدل للمدينة المنورة حوالي ستة أشهر، إذ كانت بداية حصاره لها في ربيع الآخر ١٣٤٣ هـ؛ بينما كان تركه للنشمي عليها وتوجهه هو شمالاً حسب اقتراحه للملك عبد العزيز في شوال من السنة نفسها .

(١٢٧) رسالة الملك عبد العزيز إلى إبراهيم النشمي ، ٢٧ ذو القعدة ١٣٤٣ هـ . نقلاً عن: عبد اللطيف الحميد: المرجع السابق، ص ١٨ .

(١٢٨) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل ٢٧ ذو القعدة

١٣٤٣ هـ وسعود بن عبد العزيز هو سعود الكبير (العرافة) وكان معه سرية معظم أفرادها من أهل القصيم ، ابراهيم القاضي : المصدر السابق ، ورقة ٦٣ .

(١٢٩) عبد اللطيف الحميد: المرجع السابق ، ص ٢٣ :- رسالة من الملك عبد العزيز إلى إبراهيم النشمي ١٧ ربيع الآخر ١٣٤٤ هـ . وكذلك : - رسالة الملك عبد العزيز إلى بعض رجاله ، ربيع الآخر ١٣٤٤ هـ .

(١٣٠) مطلق بن صالح بن مطلق : شذا الند في تاريخ نجد ، كتب بخط أحمد علي ، ورقة ٤٩ ، إبراهيم القاضي : المصدر السابق ورقة ٦٦ .

(١٣١) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٤٢٥

(١٣٢) يوسف ياسين : الرحلات الملكية (رحلات جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله الى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣ - ١٣٤٦ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٩٣ ، لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله الاثنين ٨ / ٨ / ١٤٢٣ هـ . والشقرة موضع على بعد يومين من المدينة في الطريق إلى نجد .

(١٣٣) تؤخذ الزكاة في أربعة أشياء: السائمة من بهيمة الأنعام وهي ما ترعى من الإرض (الإبل والبقر والغنم) ، والنوع الثاني الخارج من الأرض (النبات ، والمعادن) ، الثالث الأثمان وهي الذهب والفضة ، الرابع عروض التجارة وهي ما نوي بها التجارة ، انظر : بهاء الدين بن عبد الرحمن المقدسي : العدة شرح العمدة . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د . ت . ن ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(١٣٤) رسالة من الملك عبد العزيز إلى حمد بن عبد المحسن التويجري ٢٠ رمضان ١٣٥٢ هـ . نقلاً عن : عبد العزيز ابن عبد المحسن التويجري : لسراة الليل هتف الصباح ، ط ١ ، بيروت : رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٧ م ، ص ٧٢٥ .

(١٣٥) رسالة من الملك عبد العزيز إلى ابن عقيل والبواردي حول تنظيم جباية الزكاة . د . ت نقلاً عن : عبد الرحمن السبيت وآخرون : من وثائق الملك عبد العزيز ٢ / ٢٦٦ .

(١٣٦) وضع الملك عبد العزيز ضوابط لكل نوع من أنواع الزكاة فزكاة المواشي تؤخذ نقداً بمعدل خمسة ريالاً على النصاب بالنسبة للابل والبقر ، أما الأغنام فتقدر أسعارها سنوياً من قبل المالية بحسب نوعها ومكانها ؛ بينما تؤخذ زكاة الزروع في أوقاتها عيناً ولا تكلف القبائل بدفعها قبل أدائها ، وكان يفضل بيعها في محل الجباية ، وإن لم تشتتر لا يتحمل الأهالي نقلها إلى مركز المالية إلا مقابل أجرة ، على أن يكون أمر القبيلة أو وكيله حاضراً عند تقديرها واستلامها ، وفيما يتعلق بزكاة العروض فتؤخذ ممن يعمل بالتجارة وتحدد سنوياً من قبل هيئة مكونة من خبراء البلد ومندوب من الإمارة والمالية . انظر :

- رسالة من الملك عبد العزيز إلى أحمد بن عصيدان ، د. ت نقلاً عن : المصدر السابق ٢/ ٤٧٢ .

(١٣٧) رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد الله بن محمد بن ناصر ، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٦ هـ. نفس المصدر ٢/ ٣١٦ ولإشعار العاملين في جباية الزكاة بالمسؤولية أمام الله كان الملك يحرص حين سفرهم في مهامهم على تحميلهم الوصايا اللازمة بالتزام تقوى الله ومراقبته والعدل والانصاف بين الناس، وأن لا يتركوا من حق الله شيئاً ويجتهدوا لتحصيله على الوجه المرضي كما كان يوصي رؤساء بيت المال بتنفيذ احتياجاتهم وتوفير مستلزماتهم للقيام بمهامهم على الوجه المطلوب) رسالة من الملك عبد العزيز الى عبد العزيز التويجري رئيس بيت المال في سدير والزلفي، رجب ١٣٥٨ هـ نقلاً عن: عبد العزيز التويجري : المصدر السابق، ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

(١٣٨) رسالة من الملك عبد العزيز إلى ابن عقيل والبوردي حول تنظيم الزكاة ، د. ت. نقلاً عن: نفس المصدر، ٢/ ٢٦٦ ،

(١٣٩) رسالة من الملك عبد العزيز الى ابن عقيل والبوردي حول تنظيم الزكاة ، د. ت ، نقلاً عن : المصدر السابق ٢/ ٤٦٦ .

(١٤٠) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد العزيز

الحسيني بشأن حوالة مالية إلى صالح العذل ١٣٣٥ هـ . محمد العلي العبيد :

المصدر السابق ، ورقة ١٧٤ .

(١٤١) رسالة من عبد الله بن محمد السبيعي إلى الملك عبد العزيز ، ٢٤ جمادى الأولى

١٣٣٠ هـ نقلاً عن : عبد الرحمن السبيت وآخرون : من وثائقنا الوطنية ، الرياض : الحرس

الوطني ، ١٤١٢ هـ ، ص ٥٣ .

(١٤٢) رسالة من الملك عبد العزيز الى عبد العزيز التويجري رئيس بيت المال في سدير والزلفي ،

رجب ١٣٥٨ هـ نقلاً عن: عبد العزيز التويجري : المصدر السابق، ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

(١٤٣) من أبرز من عملوا في إمارة الزكاة عثمان التوجري وأحمد بن مزيد وعبد الله بن محمد بن

عقيل وعبد الرحمن البوردي وغيرهم انظر: رسالة الملك عبد العزيز إلى ابن عقيل والبوردي حول

تنظيم الزكاة د. ت ، نقلاً عن عبد الرحمن السبيت وآخرون: من وثائق الملك عبد العزيز ،

٢/ ٤٦٦ . ويذكر محمد بن صالح العذل أن والده عين في البداية جابياً لزكاة المجموعة تحت أمرة

عثمان التويجري فاختلف معه ورغب بالاعتذار من الملك عبد العزيز عن القيام بهذا العمل، غير

أن الملك أقتعه بالعدول عن رأيه، وجعله مستقلاً في إمارة الزكاة . لقاء مسجل مع معالي الاستاذ

محمد بن صالح العذل رحمه الله الإثنين ٨/ ٨/ ١٤٢٣ هـ .

(١٤٤) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول بعض مشاكل

- الزكاة، ٤ ذو القعدة ١٣٢٨ هـ. وحجاب بن نحيث من أمراء بني سالم من قبيلة حرب .
- (١٤٥) رسالة من عبدالله بن محمد السبيعي إلى الملك عبدالعزيز حول بعض المسائل المالية، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٣٠، نقلاً عن: عبدالرحمن السبيت وآخرون: من وثائقنا الوطنية، ص ٥٣ .
- (١٤٦) مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد العزيز الحسيني ، ١٣٣٥ هـ .
- (١٤٧) كان درهوم بن صالح العذل مرافقاً لوالده في مهامه الرسمية ، كما كان كاتباً لرسائل الموجهة إلى الملك عبد العزيز وغيره ،انظر: - مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من صالح العذل الى الملك عبد العزيز بخط درهوم بن صالح العذل ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ.
- (١٤٨) مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من صالح العذل الى الملك عبد العزيز ، ١٥ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ، وكان أمير جبل شمر آنذاك سعود بن عبد العزيز المتعب ابن رشيد والذي سبق أنفاوضه ابن عذل وعقد الصلح معه سنة ١٣٢٨ هـ؛ إذ ان سعود تولى الامارة من عام ١٣٢٧ هـ حتى أواخر عام ١٣٣٨ هـ أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .
- (١٤٩) مجموعة وثائق ابن عذل: رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز ٣ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ، وكان أمير الرس آنذاك محمد بن عساف بن سيف بن عساف الذي تولى الإمارة بعد تقاعد أخيه حسين سنة ١٣٣٧ هـ وقد بقي في منصبه حتى وفاته سنة ١٣٣٩ هـ.فهد الرشيد: المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٢ . وعن الشبيكية ونفي انظر: محمد ابن ناصر العبودي: معجم بلاد القصيم، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠ هـ، ٣/ ١١٩٨ - ١٢٠٦، ٦/ ٢٤١٢ - ٢٤١٧،
- (١٥٠) مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من صالح ابن عذل الى الملك عبد العزيز ١٩ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ.
- (١٥١) مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز ١٩ ذي القعدة ١٣٣٩ هـ .
- (١٥٢) مجموعة وثائق ابن عذل :رسالة من صالح العذل إلى هندي الذويبي ، د. ت. وهندي بن ناهس الذويبي من بني عمرو أحد بطون قبيلة حرب. انظر: محمد العبودي :المرجع السابق ١١٩٨، /٣
- (١٥٣) عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبد العزيز ١/ ٤١٨ .

(154) public record office : fo :371/8948-E9590 .27/9/1923.

(155) public record office : fo :371/8948-E9422 .21/9/1923.

(156) public record office : fo :371/8948-E9538 .25/9/1923.

(157) public record office : fo :371/8948-E9531 .25/9/1923.

(158) public record office : fo :371/8948-E9538 .25/9/1923.

(159) public record office : fo :371/8948-E9590 .27/9/1923.

(160) public record office : fo :371/8948-E9422 .21/9/1923.

(١٦١) رسالة من الملك عبد العزيز إلى حمزة غوث وحافظ وهبة وبعض رجاله ، ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٤٢ هـ ، نقلا عن عبد العزيز التويجري : المصدر السابق ، ص ٥٠٨ وقد تأجلت جلسات المؤتمر إلى أشهر متباعدة بسبب إصرار كل وفد على موقفه .

(162) PUBLIC RECORD OFFICE : FO: 371/9996 - E 164.7/1/192 .

(١٦٣) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من صالح العدل إلى الملك عبد العزيز ، ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ .

(١٦٤) عن الجوبة والشعيرة : انظر : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي (مقدمة) ١/٢٦٦ ، ٦٥٣ ،
(١٦٥) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من صالح العدل إلى الملك عبد العزيز ، ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، والمتوفى هو عدل بن محسن العدل الأخ الأكبر لصالح ، وكان ذا دراية في علم الأنساب . لقاء مع سعادة الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل ، الخميس ٢٠/٦/١٤٢٣ هـ .

(١٦٦) جريدة عكاظ ١١/١١/١٤٠٨ هـ لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله ، كما ذكر في لقاء خاص أن مخصصات والده الرسمية في قمة ازدهار إمارة الزكاة كانت ألف صاع من البر و ٢٠٠ وزنة من التمر .

(١٦٧) إبراهيم عويض العتيبي : تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز . ط ١ . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٣٣ .

(١٦٨) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٦٩) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العدل ، ٢٩ رجب ١٣٤٣ هـ .

(١٧٠) مجموعة وثائق ابن عدل : رسالة من الملك عبد العزيز إلى سعد الحويضي ، ١٩ شعبان ١٣٤٣ هـ .

(١٧١) عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع الملك عبد العزيز ، ١/ ، ٤١٨ ،

(١٧٢) عبد الرحمن السبيت وآخرون : رجال وذكريات مع عبد العزيز ، ٢/ ، ١٤٨ ،

(١٧٣) لقاء مسجل مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله . الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

(١٧٤) جريدة عكاظ ، ١١/١١/١٤٠٨ هـ لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل . وحصه بنت عبد المحسن هي والدة معاليه رحمه الله .

- (١٧٥) لقاء مع سعادة الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل ، الخميس ٢٠/٦/١٤٢٣هـ.
- (١٧٦) يوسف ياسين : المصدر السابق ، ص ٩٣ .
- (١٧٧) لقاء مع الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل الخميس ٢٠/٦/١٤٢٣هـ
- (١٧٨) عبد الرحمن السيت وآخرون : كنت مع عبد العزيز ١/٣٨٩ - ٣٩٠. ويذكر الشيخ محمد بن عبدالله المانع المترجم في ديوان الملك عبد العزيز إن عبد الرحمن بن صالح العدل قد أحضر إلى الديوان الملكي ذات يوم بعض التبر وهو الذهب غير المصنع (الخام) وقد أحضره من طعوس الرمال القريبة من الرس حيث كان رجال الديوان يقارنون بينه وبين ذهب العروق الذي وجدوه في مناطق أخرى حين كان الحبير الأمريكي تويتشل ينقب عن الذهب بأمر الملك عبد العزيز ، وكان ذلك حسبما يفهم من كلام ابن مانع حوالي سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م. نفس المصدر ١/٣٩٠ .
- (١٧٩) جريدة عكاظ ١١/١١/١٤٠٨هـ لقاء مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله، وكان محمد بن صالح العدل من المقربين إلى خادام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وقد عينه مستشاراً في الديوان الملكي فبقي في ذلك المنصب حتى وفاته سنة ١٤٢٤هـ.
- (١٨٠) لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣هـ.
- (١٨١) مجموعة وثائق ابن عدل: رسالة من صالح العدل إلى الملك عبد العزيز ، ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ.
- (١٨٢) عبد الرحمن السبيت وآخرون : رجال وذكريات مع الملك عبد العزيز ، ٢/١٤٨ .
- (١٨٣) يوسف ياسين : المصدر السابق ، ص ٩٣ .
- (١٨٤) أمين الريحاني : المصدر السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- (١٨٥) مقبل الذكر : المصدر السابق ، ٣/ ٨ ،
- (١٨٦) عبد الرحمن السبت وآخرون : كنت مع عبد العزيز ١/ ٣٩٠ ،
- (١٨٧) خير الدين الزركلي : المصدر السابق ٢/٤٨٧ - ٤٨٨ ،
- (١٨٨) لقاء مع معالي الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله الاثنين ٨/٨/١٤٢٣هـ.
- (١٨٩) جريدة عكاظ ١١/١١/١٤٠٨هـ لقاء مع الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله.
- لقاء مع سعادة الشيخ حسين بن عبد الرحمن العدل الخميس ٢٠/٦/١٤٢٣هـ .
- فهد الرشيد : المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ولكل من الأبناء الخمسة عدد من الأبناء الذين تولوا مناصب متعددة حكومية وخاصة .
- (١٩٠) جريدة عكاظ ١١/١١/١٤٠٨هـ لقاء مع الاستاذ محمد بن صالح العدل رحمه الله.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

أ- وثائق محلية

١- مجموعة وثائق الرس

- وثيقة بخط المؤرخ إبراهيم بن عيس حول تأسيس الرس وعمرانها (د. ت).
- وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل وخالته بنتا بنت منصور العساف (د. ت).
- وصية بنا بنت منصور العساف (١٢٥٩هـ).
- وثيقة مبايعة بين بنا بنت منصور العساف وابنتها رقية آل أبا حصين (١٢٣٣هـ).
- وثيقة مبايعة بين سليمان آل عايد وزوجته ميثا بنت منصور العساف (١٢٧٦هـ).
- وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل و سليمان آل عايد (١٢٧٦هـ).
- وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل ووالدته ميثا بنت منصور العساف (١٢٧٦هـ).
- وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل و صالح العواجي وسليمان بن هندي (١٢٧٦هـ).
- توكيل محسن بن عدل ابنه صالح على بعض الأملاك (١٣١١هـ).
- وثيقة مبايعة بين محسن بن عدل والشيخ صالح بن قرناس (١٣١٦هـ).
- وثيقة استئجار صالح العذل بعض العقار في الرس (١٣٣٠هـ).

٢- مجموعة وثائق ابن عدل

- رسالة من متصرف الأحساء إلى الملك عبد العزيز حول عودة صالح العذل إلى نجد (١٣٢٧/١١/١٣هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول أعماله في إمارة الزكاة ٤/١١/١٢٢٨هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول مهامه في شمال الحجاز (١٣٣٣/١/٥هـ).
- رسالة من الشريف عبد الله بن الحسين إلى الملك عبد العزيز حول مهمة ابن عدل في الحجاز ١٨/٥/١٣٣٤هـ).
- رسالة من شاكر بن زيد إلى الملك عبد العزيز حول مهمة صالح بن عدل في الحجاز ١٨/٥/١٣٣٤هـ).
- إفادات شفوية لصالح بن عدل من حكومة الحجاز (د. ت).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد العزيز الحسيني تتضمن حواله مالية على صالح العذل (١٣٣٥هـ).

- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول إمارته الزكاة (١٥/١٢/١٣٣٩هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول أعماله في إمارته الزكاة (٣/١٢/١٣٣٨هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول أعماله في إمارته الزكاة (١/١٢/١٣٣٩هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول أعماله في الأحساء (١٩/٥/١٣٣٩هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى إبراهيم الشامي يطلب انضمامه لابن عدل لحصار المدينة (٥/٤/١٣٤٣هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل حول أخبار حصار جدة (١١/٧/١٣٤٣هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل حول بعض إجراءاته في المدينة المنورة (٢٩/٧/١٣٤٣هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل حول بعض إجراءاته في المدينة المنورة (د. ت).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل حول بعض الحوادث في الحجاز (١٨/٨/١٣٤٣هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى سعد الحويضي للتعاون مع ابن عدل (١٩/٨/١٣٤٣هـ).
- رسالة من الملك عبد العزيز إلى صالح العذل حول جهوده في شمال المدينة المنورة (١٧/١١/١٣٤٣هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى الملك عبد العزيز حول أعماله في إمارته الزكاة (١٥/٥/١٣٤٣هـ).
- رسالة من صالح العذل إلى هندي الذويبي يعتذر فيها عن صرف عوائد مالية (د. ت).

ب - وثائق عثمانية

الإرشيف العثماني في استانبول (BASBAKANLIK Osmanli Arsivi)

١ - قصر يلدز الهمايوني : دائرة الكتابة العالية :

- وثيقة ٤٣٣١ ، قرار عثمانى بمنح الملك عبدالعزيز وسام الدولة العثمانية بموجب ما حملة صالح بن عدل في رحلته إلى العاصمة العثمانية ١٧ رجب ١٣٢٥هـ.
- وثيقة ٥٠٩٢ ، قرار عثمانى بمنح صالح ابن عدل مبلغ مالي خلال رحلته إلى العاصمة العثمانية ١٥ شعبان ١٣٢٥هـ.

٢ - يلدز متفرقة : المعروضات والاخباريات :

- (Y.PRK.AZJ52/75) . رسالة من الملك عبدالعزيز إلى صالح العذل في العاصمة العثمانية ١٣٢٥هـ .

٣ - نظارة الداخلية : دائرة المخابرات العامة - الاتصالات :

- (DH.MUI.17-5/1) مجموعة رسائل ومذكرات حول رغبة الملك عبدالعزيز سحب ابن عدل من الأحساء ١٣٢٧ ، ١٣٢٨هـ .

ج - وثائق بريطانية

أرشيف السجلات العامة (Public Record office)

١ - . f.o :371/8948-E9422.21/9/1923

٢ - . f.o :371/8948-E9531.25/9/1923

٣ - . f.o :371/8948-E9538.25/9/1923

٤ - . f.o :371/8948-E9590.27/9/1923

٥ - . f.o :371/9996-E164 7/1/1924

ثانياً : المخطوطات

- الذكير ، مقبل : تاريخ مقبل الذكير ، مكتبة الحرم المكي الشريف ، رقم ٩٩ .

- ابن ضويان ، ابراهيم : تاريخ ابن ضويان ، كتب بخط منصور الرشيد سنة ١٣٧٨ هـ نسخة متداولة .

- العبيد ، محمد العلي : النجم اللامع للنوادر جامع ، ١٣٧٧ هـ نسخة متداولة .

- القاضي ، إبراهيم : تاريخ إبراهيم القاضي . نسخة متداولة .

- ابن مطلق ، مطلق ابن صالح : شذا الند في تاريخ نجد (٧٣٨ - ١٣٠٦ هـ) كتب بخط أحمد علي . نسخة متداولة .

- ابن ناصر ، عبد الرحمن : عنوان السعد والمجد فيما ستظرف من أخبار الحجاز ونجد . داره الملك عبد العزيز ، رقم ١٢ .

ثالثاً : اللقاءات الشخصية

- لقاء مع معالي الأستاذ محمد بن صالح العذل رحمه الله المستشار السابق في الديوان الملكي .
الاثنين ٨/٨/١٤٢٣ هـ .

- لقاء مع سعادة الشيخ حسين بن عبد الرحمن العذل أمين عام الغرفة التجارية في الرياض
الخميس ٢٠/٦/١٤٢٣ هـ

رابعاً :- المصادر والمراجع العربية المنشورة

- الاحسائي ، محمد بن عبد الله : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد . ط ٢ .
الرياض مكتبة المعارف ١٤٠٢ هـ .

- بدر ، عبد الباسط : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ط ١ ، د . م . ن ، ١٤١٤ هـ .

- ابن بشر ، عثمان : عنوان المجد في تاريخ نجد . تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ . ط ١ . الرياض : وزارة المعارف ، ١٣٩٤ هـ .
- التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح . ط ١ ، بيروت : رياض الريس للنشر ، ١٩٩٧ م .
- الجاسر ، حمد : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ط ١ ، الرياض : دار اليمامة ، ١٣٩٧ هـ .
- : _____ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المتقدمة) ط ١ ، دار اليمامة ، ١٣٩٧ هـ .
- حلیم ، إبراهيم بك : التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية ، ط ١ بيروت : مؤسسة الكتاب الثقافية ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- الحميد ، عبد اللطيف : إبراهيم بن عبد الرحمن النشمي - حياته وأعماله . ط ١ . الرياض : شركة مطابع نجد ، ١٤٢٣ هـ .
- دارة الملك عبد العزيز : الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ط ٢ ، الرياض ١٤٢١ هـ .
- دارة الملك عبد العزيز : الرواد : الملك عبد العزيز ورجاله الاوفياء والذين دخلوا الرياض الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤١٩ هـ .
- رحمو ، محمد إبراهيم : أضواء على الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه . ط ٢ الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨١ م .
- الرشيد ، فهد : الرس بين ماضيها وحاضرها . ط ١ ، الرياض : مطبعة سفير ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- الريحاني ، أمين : تاريخ نجد الحديث . ط ٦ بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٨ م .
- الزركلي ، خير الدين : شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز . ط ٣ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥ م .
- السبيت ، عبد الرحمن وآخرون : رجال وذكريات مع عبد العزيز . الرياض : الحرس الوطني ، ١٤١٠ هـ .
- : _____ كنت مع عبد العزيز . الرياض : الحرس الوطني ، ١٤٠٨ هـ .
- : _____ من وثائق الملك عبد العزيز . الرياض : الحرس الوطني ، ١٤١٠ هـ .
- : _____ من وثائقنا الوطنية . الرياض : الحرس الوطني ، ١٤١٢ هـ .
- آل سعود ، سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود . ط ١ ، الرياض : مطابع الرياض ، ١٤٨٠ هـ .
- الظاهري أبو عبد الرحمن بن عقيل : مسائل من تاريخ الجزيرة العربية . ط ٣ ، الرياض : دار

الأصالة، ١٤١٣هـ.

- آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان. ط ١. الرياض: مطابع مؤسسة النور، د. ت. ن.

- العبودي، محمد بن ناصر: معجم بلاد القصيم، ط ٢، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ.

- العتيبي، إبراهيم عويض: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز. ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ.

- العثيمين، عبد الله: تاريخ المملكة العربية السعودية. ج ٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ.

- العلبي، أكرم حسن: التقويم. ط ١، بيروت: مؤسسة المصادر، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- الفرج، خالد: الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق ودراسة عبد الرحمن الشقير، ط ١. الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٢١هـ

- المارك، فهد: من شيم الملك عبد العزيز. ط ٢. د. م. ن، ١٤١٧هـ، ١٩٨٠م.

- المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت: دار الجيل، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

- المزيد، محمد بن عبد الله: شجرة العميل والعذل. الرياض: د. م. ن، ١٤١٧هـ.

- المسلم، إبراهيم: رجال من القصيم، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

- : _____ العقيلات. ط ٢، الرياض: مكتبة العقيلات ١٤٠٩هـ.

- المقدسي، بهاء الدين: العدة شرح العمدة. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت. ن.

- ياسين، يوسف: الرحلات الملكية، ط ١، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ.

خامساً: الموسوعات ودوائر المعارف

- الموسوعة العربية الميسرة. بيروت. دار نهضة لبنان، (١٤٧١هـ / ١٩٨٧م).

سادساً: الدوريات

- جريدة أم القرى الأسبوعية. العدد ١٨، (٢٢ رمضان ١٣٤٣هـ).

- جريدة عكاظ. س ٣٩، ع ١١٥٢٢، (الاثنين ١١ / ١١ / ١٤١٨هـ).

سابعاً: المصادر غير المعربة

الملاحق

ملحق رقم (١)

الحمد لله الذي جعل الإسلام الحنيفي
 من النجاة والكرام لبي بنا وعليه
 منكم الآن متوجه لظنكم محبكم صالح باشا العذل
 ولهودة وجوده لهنا لم يتأخر عن إيفاء الحزمة للدولة العلية أمثالاً لأوامركم له وبجود لا يقتصر
 ظاهركم بآراء تبحره والسلم ورحمة الله عليكم يا أيها القاصدين

* رسالة من متصرف الأحساء عارف باشا إلى الملك عبدالعزيز حول مغادرة صالح العذل الأحساء
 إلى نجد وما قام به من جهود خلال وجوده في الأحساء ١٣ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ.

ملحق رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا الخادم صالح العذل الاجنب الأجنبي لا تفر في الأكل والشرب من عبيد العزير ابن عبيد الرحمن الأوفى لربه ابن
 آدم عظيم الرحمة والبر كان عذرا له في كل شيء مع السوا والحق الحقوا لنا في كل شيء في كل شيء في كل شيء
 وفطنته الشريف وهمل وسرنا طيبكم قد منادى بكل هذا فطنا وسرنا هو انك تشبه مسرورا عذرا طاهرا
 ما حدث الا في البرية ركود والده أو مفضل ارجو عذرا على المطوع واظن الجوف يترك
 ابن ليلا واللع في اصطناعه ومع موايد يعزيت اياها ابن رشيد وحققت بيني وبينهم
 اخبار الله بينه اظلم طاب ابلغ طبع عذرا العفا لا جنا هذين في مكة يترك ابن رشيد
 مكره معهم جميعا هل نجر الذي تحت امر ابن سعد يترك ابن رشيد عذرا طاب اطيف عواد
 ما جبر عواد شتمت الجلب الحبيب ضيف ما طب عواد اجتمعت وباقي اخبار
 عباديه الشغبنا بخلافه هذه الاماكن والامام على امره والييل ومن الدنيا يسلم الله

* رسالة من صالح العذل الى الملك عبدالعزيز حول مهمته الاستطلاعية في شمال الحجاز قبيل

معركة جراب. ٥ محرم ١٣٣٣ هـ.

ملحق رقم (٤)

مفضة الاخ الامم عبدالعزيز المسعود
 سلمته
 اهدى الامم اجزل التحايا والتكريمات ثم افيضه بانني تلقيت بانامك
 الكريم والتوفير رفيعه الكريم رفق صالح الفضل وبه بل وكل كتاب
 يرودني من الجناح يعاتبني الامم سلمه الله بدم اجابتي عني في اليوم
 والحالة هذه فاني لم اذكر تقصيري واهالي في الجوابه انهم لا
 في صفة عني في من الوطن فهذا عذري واضح ونحن به الحمد
 على اسرحتي والتم بال اسبل الله على الجميع سوابه نعمه ثم انه حيث
 صد الامر العالي علي بانا لانزع مركوبهم الموقر ياخذني من توازم
 الامم الاعلى هم به سيدنا وسيد الجمع ولدي السؤل منه فليسر
 ان الامم قد اوصى بشرا وخادمين وخادمه فقد صار شراهم وقد
 اتحانهم من دن مخزبه العلمه الخاصه بسيدنا جنبنا اعلامهم بذ
 وقد اوصينا المحب صالح ابن عزله بما يجب شفاها فليهدى الامم
 حفظه الله من ذنبت وانا السهم على حقه انوا لا امكن ان لا نوحه
 الامامه والسلام ١٢٤١ ١٨ ١٤٤٤



ملحق رقم (٥)

ربيعه ارحم الرحيم

ادام صالح آل عذل الى حضرة شريف الجناب سيدى الامام المكرم عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته في اعلى واشرف تحية وبعد اهداء السلام الى حضرتكم الشريفة ماجرى ما
يرفع اليكم الا اذ ايم السلام قد منا لك قبل هذا خط نرجو نك تلوته سرورا خاطرا كذا تم طول الله
ث مثل ما عرفنا على منينا على صاحب الفرم والغزوة وبعض بني سالم وحال التار يخ وحننا
نحنه فاما من طرف ولد سليم وبعض بني عمر وهيم منهم سند وعند وحيهنا اذنا
طلال وبعضهم ورجل ابو صغير وجادتهم وقلت ما اترككم الا ان رجعتوا الى
قصد الزكاة نركبه واني له مؤونة غير تبس وحننا اذا قضينا من هاتما الما اليه
الشكيم ويسار انخرتنا على هاتما العيان على نغ والحيد فان بدا لكم بنا الا نزم فهدا
ر بنا كذا لك من طرف الى قسم الله من القلوب منهي يا لرسد عند محمد ابنه عساف وهي قدر
مة الاقربا لان الماشية ما بها عوفا ما تحمل وان نت نختنا بابيع هذا ما يلزم
عنا السلام على سيدى الامام والعال مود واخوانه ومنه لدينا عبد لطيف سلم ودم

١٤٤٨

ذ

ملحق رقم (٦)

Reference:	FO 371/8948	
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION		

297
 Enclosure Telegram from the High Commissioner for
 Iraq to the Secretary of State for the Colonies.
 Dated 19th September. 122
 (Received Colonial Office 2.58 p.m. 19th September, '33)

addressed Hussein to the Secretary of State for
 the Colonies No. 334 priority.

a certain Salah El Adil understood to be Ibn
 Saud's official tax collector has appeared as a
 sequence to numerous instances during the past few
 months of attempts to collect dues for Ibn Saud within
 Iraq territory with 100 Akhwan between Karbala and
 Najaf and is demanding taxes from Bahaslu section
 which are admittedly subjects of Iraq. Armoured
 cars have been despatched to bring them in but in
 present circumstances extreme excitement has been caused
 by this incident in Iraq Government circles and I
 should be glad if you would send immediate protest to
 Ibn Saud by telegram.

UOBB.I.

* برقية من المندوب السامي البريطاني في بغداد إلى وزير المستعمرات في بوشهر حول الإجراءات
 المتخذة مع ابن عدل، ١٩/٩/١٩٢٣م (صفر ١٣٤٢هـ). (FO:371\8948-E9422)

ملحق رقم (٧)

Reference:-	FO 371/8948	<table border="1"> <tr> <td>1</td> <td>2</td> <td>3</td> <td>4</td> <td>5</td> <td>6</td> </tr> <tr> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> </tr> </table>	1	2	3	4	5	6						
1	2	3	4	5	6									
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION		<table border="1"> <tr> <td>1</td> <td>2</td> <td>3</td> <td>4</td> <td>5</td> <td>6</td> </tr> <tr> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> <td></td> </tr> </table>	1	2	3	4	5	6						
1	2	3	4	5	6									

47103
REC
24 SEP 23

135

PARAPHRASE TELEGRAM from the High Commissioner for Iraq to the Secretary of State for the Colonies.

Dated 22nd September, 1923.

(Received Colonial Office 7.40 a.m. 23rd September, 1923.)

Addressed to Bushire No.350/3

Repeated Secretary of State for the Colonies No.524.

Apprehension of Salih Al Adil has been effected and he is in Baghdad in custody. A letter of instructions from Ibn Saud was found on him in which direct reference is made to the collection of tribute from Jazza Ibn Mijlad Shaikh (of) Dalmashan section of Amarat whom Ibn Saud by treaty specifically acknowledged to be Iraq tribe. There was also a letter from Jazza in which receipt of letter from Ibn Saud promising allegiance to the latter and inviting Salih to visit him was acknowledged. A second letter was also sent to Jazza by Ibn Saud. Correspondence of this sort with Irak Shaikhs and collection of tribute from them is of course ^{quite} irregular. It is essential in my opinion that a protest should be sent to Ibn Saud and he be informed that pending the receipt of his explanation Salih will be detained here.

* برقية من المندوب السامي البريطاني في بغداد إلى وزير المستعمرات في بوشهر حول الإجراءات المتخذة مع ابن عدل، ٢٣/٩/١٩٢٣م (صفر ١٣٤٢هـ) (FO:371\8948-E9538)

ملحق رقم (٩)

بسم الله الرحمن الرحيم
 يا عزيزي عبد الله اني فعلت الى جناب الازلي المكرم الا فخم سعيد المحقق سلمه الله تعالى
 فزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على اني لم ازل في حيرة ورجاء في ما جئكم به من كلام الله جل جلاله
 بما حررت في كتابي في الامانة من فضل الله ولا خفي الرجوع عليهم الا في ما في فناء صلا الله ورعاياهم تخاف نفع فيهم وحسن
 ما غرض في محاربة الدول مع ان حنا يفتقن ان الله يبي يسهل الامور في اهلها ما يهتد الله تعالى والسليح عالم عجا
 سمعهم بالحي والبع الحجات الله فليعلم امرجه المسليح عالم الا واقعه الى الخيال وكل محمد رافع ذكركم
 بنى نه وحال التاريخ مشناه بيارق المسليح غنى بتاريخه وعينه شأنة مجمعا شاكر في اخيه بيبه واعا
 به عليهم واخذهم احد فتلحق واحد انهم لم يبق بعد فلك جفوت شد على رأسه بدوي تعدهم بعدنا شئ
 به سالم الشريفي في يد رونه صادق مع السليح لانه من يد رومين يد ويهم وحضرهم كلام صادق مع السليح
 بنا تحت وجودهم فاشين مع السليح ثم اعاناه موده سالم عليهم واخذهم ودع منهم غنة رجاء بل واخذهم غنة
 ننه غنة لعل وجميع باعده جيتهم كلمة اخذه به ذلك رسل مستفرج للمسليح وهم في رايغ ونفرو المسليح متو
 الى جهته وجهه ينيغ وانلا الجز بالمسليح متو جهته فيم جفوت في ومنه يتو جهته الى ينيغ وقدم بوعا
 السليح مشغ جردهم مع هالك حل لاجل اخذ الامانة التي عليه بدوينة ويناديه وايد
 المنيغ في قطع المسليح فجميع ذلك اوخذ به بدوينة اليهم حق من قطع الله فيهم
 هذين واظا اولوا والمنه بالذوق رونه متو في قطع الله فيهم في قطع الله فيهم في قطع الله فيهم
 حال الرتب واذا حصل كونه على احد اعدوان السليح فلانه غرويه المتصد من ذلك انتم تقكوا
 على الامانة عدوه ع عدل وتغفون فيا يبريدتم تغفون فيه ولا لا احد عدو ولا حق يتقد
 ع هالك المتنا تراها المتنا انظره بعنا لوقه عالم اجتهده فيه وتقدم عرفت انه نأ صبي
 السليح في عرفت في ان الله الجزا الطيب رونه تاجر غنة يد روميا في اظا لصد بع السليح
 وا دري انه غفشي ولا ظك به يعلم ظك بعد العلم ولكن اظا انك الله انتم ازودوه
 فيني بالطيب المتصد داء عني العلم ا ع غنة في منه رضى عذاب عدل فيصوف ا في رايغ
 وانني ما يرضى عنه ع عدل فاكلف رضى عنه يعون عندكم معلوم هذ الحزم عني روي

* رسالة من الملك عبدالعزيز إلى سعد الحويفي يبين له فيها أهمية دور ابن عدل ويحثه على التعاون معه في حصار المدينة المنورة، ١٩ شعبان ١٣٤٣ هـ.

ملحق رقم (١٠)

بعد أن أوتت العربية التي أرسلت بقيادة ابن ريسان عليها حوالاً وابخ وبيع
حصدت جميع من كان ما عدا في تلك الجهات توجهت قبل بضعة أيام إلى بنسج لاحتلالها
نظر من يوم لآخر وودد انهم من سيطر القوة

القوة في بنسج

وعلينا من الاخبار انما ان بنسج ليس هو لها قوة دفاع ذات بل وان العدو
يكن من تمسكها بالبلاد شائكة ولا شيء من هذا التيل كاتل في جده وهذا مما يدل
على أننا ان شاء الله تعالى

واقعة وادي الفرع

وساء في كتابنا من بعض فراء الجيش في العربية أن جنداً (الكان)
جمع من العدو في امان شقية من وادي الفرع قتل منهم خمسة وتسعين واخذ
م منائم لا نهمي ولم يجر جندنا في هذه الحركة ما يستحق الذكر وبعد هذه الواقعة
ما حدثنا لاحتلال بنسج

حول المدينة المنورة

سواء من القائد العام للحامية الدينية بن عدل أنه ساءر هامن جميع الاطراف وأخذ
بالسالك من جميع الجهات ونسج إليها مما الصادر والوارد بنسج حول المطاية التي بها على
لجيم لان قيادة القلعة بما ذوا امر في الامانة في حدود المدينة المنورة

قطع السكة الحديدية

و قد اقام بن عدل قائم جهة المدينة المنورة وقوة كافية من الجند لحصار المدينة
بما سيارت (عمره) إلى السكة الحديدية وانزلوا في مكان منها وخبروها
طامع جميع المراسلات بين ممان والمدينة وذلك ما سبقت المدينة المنورة بحامدة
جميع الجهات

١٠	الكبر
١١	الحقيق الناصم
١٢	الختن
١٣	اوز بنوري السكة
١٤	منا
١٥	منا
١٦	الخطه
١٧	الشمير
١٨	الدمخ
١٩	الدرة
٢٠	الكاز الصندوق الو
٢١	وعليه الاسعار باعتبار الزيل الثاني و
٢٢	فرش
٢٣	ماشولة ورو و
٢٤	ذلك ورو في ريفية من جده ان
٢٥	استأف نشاطه بخوار الدية لندك
٢٦	فبرما لوف في المراكات العسكرية وقد عذرت
٢٧	في الدومين الماشين (٥ و ٦ الخارب) بند
٢٨	متر با شدد لا ارال مستسير واخذ
٢٩	المد و سر كرا يمكنه من الوصول إلى
٣٠	الطعام من الدية

العدو التي التي الذي بذل من اجل ما
مبين ز بيده بنسج من النتائج الطالبة وذلك
على اثار المراكات التي تمت بها بين ز بيده
في وادي ممان فراءت البناء زيادة تذكرها
كانت عليه في الساعات ولا تزال الهدية مذكورة
في انجاز السبل ونحن الله الساعين في اعمال
الطير لما يحبه ويرسناه
الارواق
لا تزال في امان الارواق وقد سكرت
عظيمة الى ام القرى والاسعار في الحد وخيمة
مستدة وليس فيها ما يدعوا للشكوى غير
الدين والخطه فان سره ما خذنا واما بان
الحاميات ما كثرها يساوي منها الذي كانت تبايع
به من قبل الا زمنة الحاضرة ومنها ما يساوي
سرها اقل مما كانت عليه من قبل مثل السن
واللحم فخرجوا من امان فربا آسدة انفرج
هذه الازمة انه السبع اعجب
الامن الدولة
لقد ان التمر عاف علينا الوسخ ارجع من
من السفن التي سر فيها ما اخره انفرج
من مرس السر وذلك لان اصحاب السفن
من أهل مدوح من سنة ابطالنا وهكذا

* صورة للمصفحة الثانية من صحيفة أم القرى في عددها رقم (١٨) الصادر يوم ٢٢ رمضان ١٣٤٣ هـ
ويحتوي على بعض أخبار تحركات ابن عدل في جبهة المدينة المنورة.

SALEH BASHA AL-ADHEL

his Life and his Jobs (1854-1931)

Khalefah A. AlMasaod

*Assistant Professor of the Modern History
The Colleg of Teachers, ARRAS*

ABSTRACT. Saleh ibn mohsen Al-Adhel one of the personalities that played an effective role under the leadership of King AbdulAziz to construct The Saudi State in its third rule . He was born in 1270 AH/1954 AD in the city of Arrass.

He had many Jobs and successful diplomatic embassies in and outside The Arabian Peninsula since he joined to King AbdulAziz. The second Abdul Hameed named him((BASHA)).

The research concentrates on the life of ibn Adhel until he joined to King AbdulAziz. Then, the research deals with the jobs that ibn Adhel did according to their historic chain , and during 25 years :(1906-1931) he became one of the most famous personalities in King AbdulAziz's council. For example: successful diplomatic embassies in JBAL SHAMMAR and HIJAZ. Also he played an effective role to join ALMADINAH ALMONAWARAH into King AbdulAziz rule.

The research contains many important and historic documents which clarify the roles that were played by ibn Adhel to serve King AbdulAziz during that years .